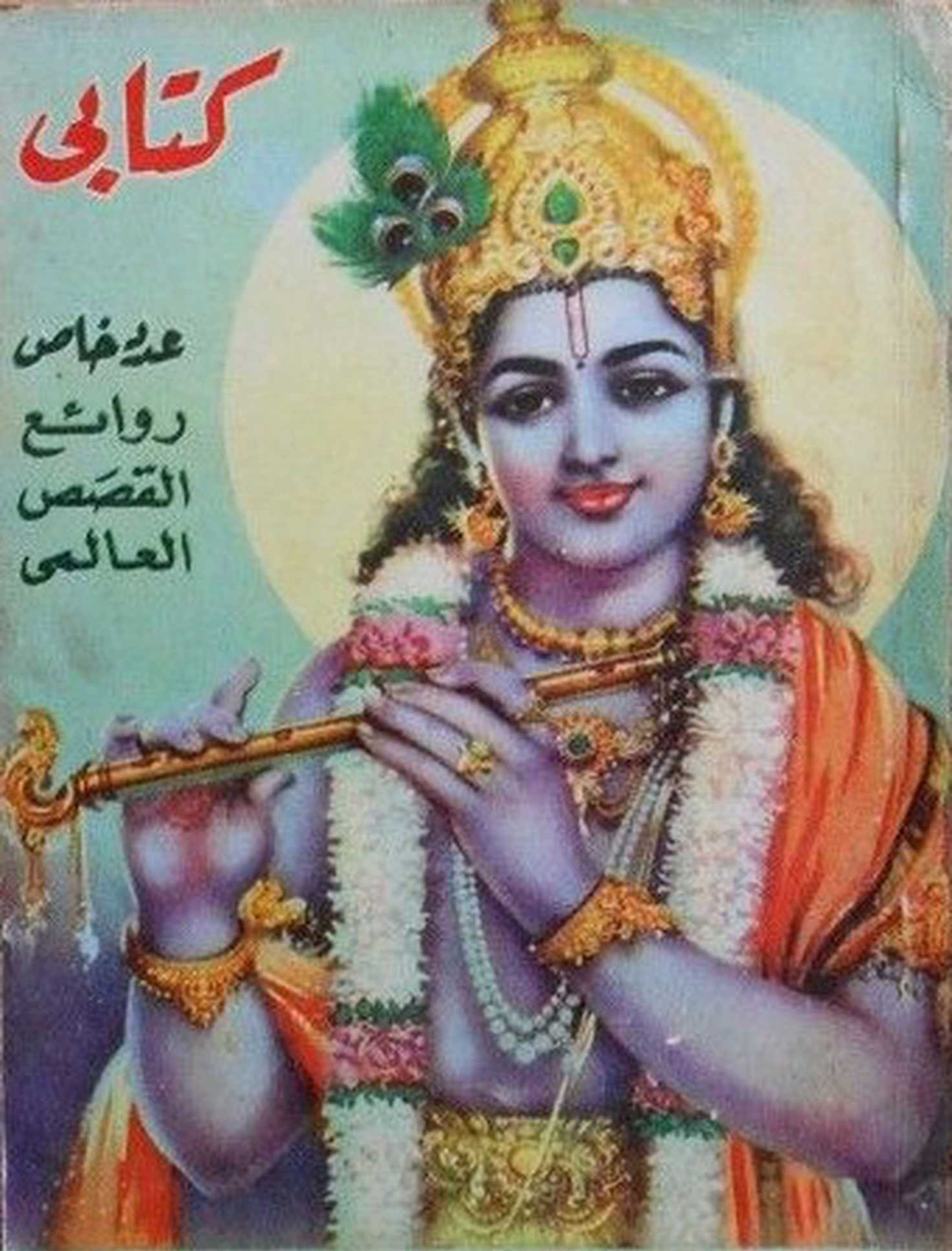


كتابي

عدد خاص
روائع
المقصص
العالمى



هدية منقولة
في ٣٢ صفحة

“مجلة الصغار”

المطبعة الحديثة

عبد فاضل
رواية
المصبر
العالم

“محنة الصغار” هدية متصلة

كنايت

مجلة شهرية للثقافة العالية



اطلب مع هذا العدد
هدية منفصلة في ٣٢ صفحة

مجلة الصغار
للأولاد والبنات

رقم : ١٠٥

التحرير : ٢٣ شارع عرابي (توفيق سابقا) ، شقة
١١١ ، القاهرة - تليفون ٤٦٤٧٥

الناشر : دار الشعب - ٩٢ شارع قصر العيني
القاهرة - تليفون ٣١٨١٠

ثمن النسخة : ١٥ قرشا

اللوحات الداخلية

بريشة الرسام : « سهر ثابت »

هل تنقص مجموعتك أعداد سابقة من كتابي ؟

قد تجدها بإدارة التحرير (٢٣ شارع عرابي

« توفيق » سابقا - بالقرب من ميدان التوفيقية

شقة ١١١ ، بالقاهرة ، تليفون ٤٦٤٧٥)

الرجل المقدس

مأساة إنسانية رائعة
أثناء جهاد إيطاليا ضد النمسا



بقلم : إبراهيم المصري

..... من مآثر حرب من حروب الاستقلال

« كانت حرب الاستقلال الإيطالية دائرة الرchy في سهول مقاطعة (لومبارديا) ، عام ١٨٢٠ ، وكان المجاهدون الإيطاليون يقاتلون جيش الاستعمار النمساوي قتالا عنيفا ، تحت زعامة بطل من أبطالهم يدعى « أتيليو » وفي خلال هذه الحرب المجيدة وقعت حوادث هذه القصة التي تعتبر مآثرة من مآثر الجهاد الوطني في إيطاليا والعالم » .

● كانت الجدة العجوز « ماريا » قابعة في ركن من أركان البهو الصغير ، تحديق في الشعلة المستطيلة من شمعنة كبيرة مثبتة في اناء ، وقائمة بجوارها فوق منضدة . وكانت هذه العجوز - التي أشرفت على السبعين - قد غافلت أسرتها منذ بضعة أشهر ، واندسبت في صفوف جيش التحرير ، وقاتلت معه ، وتمكنت من قتل أربعة ضباط نمساويين . فلما ألقى القبض عليها ومثلت أمام الحاكم العسكري النمساوي ، أصابتها نوبة مروعة من التشنج ، وطفقت تضحك ، وتصرخ ، وتهنى ! . فاعتبرها الحاكم عجوزا مجنونة وخرقاء ، فأمر بجلبها لتكون عبرة لسواها ، وألقى بها في السجن شهرا ثم أطلق سراحها . وها هي ذى ماريا في بيت زوج ابنتها ، منكشدة في مقعدها العميق ، تضحك في بلاهة كماداتها ، وتتأمل الشمعة المضاءة ، وتخالس ييدها المرتعشة وهج النار ، وعينها الثاقبة تحوم حول ابنتها « روزين » .

وكانت « روزين » تنظر الى أمها في حيرة ، وتستغرب كيف أصبحت هذه المرأة - التي اشتهرت برجاحة العقل وقوة الأعصاب - مجنونة ومعتوهة ! . . ومع ذلك فان روزين كانت تشكر ربها ، وتقول في نفسها ان أمها لو ظلت متنبهة وعاقلة ، لكان الموت مصيرها المحتوم ولا بد ، على يد الحاكم النمسوى ! على ان روزين لم تكن تفكر في أمها فقط ، ولا كانت تتحسر عليها وحدها ، بل كانت تفكر أيضا في ابنها هي . . ابنها الوحيد « كارلو » الذي غادر البيت منذ ثلاثة أيام ولم يعد ، والذي انطلق والده يجوب سهول (لومبارديا) بحثا عنه على غير جدوى ! . .

والحق أن « كارلو » كان قد تحول فجأة وتغير . . لم يعد ذلك الشاب الذي كانت تفخر به أمه ، لاستقامته وورصاته وخلقه الأبي المتين . كان داعية من دعاة الحرية كوالده ، وعلمنا من أعلام البطولة في قريته . وكان قد أحب وخطب الفتاة الطاهرة البريئة المجاهدة « جلوريا » . ولكنه لم يلبث أن خان عهدا ، ونبلها ، وأصبح - بين عشية وضحاها - ماجنا مستهترا خليعا ، يسخر من أيه الكهل الوطني الغيور ، ويهزأ بأمه التي تنافس في صدق الوطنية زوجها ، ويتعمد تحقير جدته المجنونة المعجوز ، التي كانت تحتمله في جلد وصبر ، وهي لا تفتأ تحديق فيه تحديقا ثابتا غريبا ، بينما تتحسس أصابعها المرتعشة الشمعة المضاءة ، وتخالس - في حذر - وهج النار . .



● ووفعت روزين رأسها ، وتأملت صورة ابنها المثبتة الى الحائط ، وسرعان ما ذكرت علاقته بالأرملة الجميلة الثرية « ايفوننا » ، فغلب الدم في عروقها ! . . هذه المرأة هي التي

أفسدت خلق ابنها .. هذه المرأة هي التي سلبته خطيبته
جلوريا ، وجعلت منه فتى مدثلا مخنثا وضيعا ، لا ينشد في
الحياة غير أسباب الترف واللوان اللذة ، ومفاتيح العز والسودد
والجياه العريض !

وتقبضت تقاطيع وجه الأم ، وشاع في عينيها الفائرتين
ضباب الهم والأسى . فهتفت في سريرتها ، من أعماق نعلها
وهي تتلوى : « كيف أنقذه من برائن تلك الفاجرة ؟ .. كيف
استرد ولدى ، ولدى الذى لم أرزق بسواه .. ولدى الذى
كان غاية لحياتى ، وأملا لوطنى ، وفخرا ومجدا لنا أنا وزوجى
المجاهد المكافح المسكين ! ؟ »

وتلفت الى أمها ، صي أن ترى فيها انسانا حيا يمكن
أن يستجيب لها ، ولكنها أبصرت الجدة المعجوز زائفة العينين ،
متقدة الوجنتين ، تتفرس في اللهب الأحمر كعادتها ، وتضحك
وتهللى كالأطفال . فاعتصر الألم قلب روزين ، ولم تستطع
الا أن تحنى رأسها خائفة ومنهوكة ، وتطلق لدموعها العنان ..
وفجأة سمع طرق متواصل على باب البيت ، فأسرعت
روزين ملهوفة وفتحتة ، ولكنها بدل أن تبصر ابنها أو زوجها ،
ألفت نفسها تجاه الفلاح الشيخ السكر « أنطونيو » ، ينظر
إليها بعينيه الحادتين نظرة قابضة حاقدة ، ويدفعها بيده
ويدخل ! .. وارتمى الفلاح على مقعد وهو يسعل ويترنح .
لم يلتفت الى الجدة المعتوهة ، بل تطرح واسترخى ، وتحول
صوب « روزين » ، وقال فى خشونة وانفعال :

— تعلمين أنى فقدت ابنى الوحيد فى المعركة القائمة بيننا
وبين أعداء بلادنا ، وأنى أدمن الآن شرب الخمر ، لا لأعزى ،
بل لأستنهض البقية الباقية من قواى وأستطيع أن أصيب
النمساويين فى مقتل ، وأنتقم لولدى ! .. فهل أنت أفضل منى ،
وهل تقيمين وزنا لحياة وللك أكثر مما كنت أنا أقيم وزنا

لحياة ولدى ؟ . . ان حياة اولادنا ملك لبلادنا يا روزين . وكل
ام تؤثر حياة ابنها على مستقبل بلادها هي ام خائنة لوطنها
الذى هو ابنها الحقيقى الخالد السرمدى !

فذهلت المرأة وارتعشت ، وغمغمت :

— لا افهمك . . صرح بما فى ضميرك يا أبت ولا تعذبني !
فدنا الشيخ منها وهو يتعثر ، وأمسك بيدها ، وقال فى
صوت غائر أجش :

— ان ابنك كارلو لم يعد منا . لقد التحق بمكتب المباحث
التابع للنمساويين ، وهو الآن جاسوسهم علينا !

ففغرت روزين فاها كبلهاء ، وجمدت كأنما قد ضربتها
صاعقة . أما العجوز المجنونة فقد تاهت عيناها ، وتوزعت
نظراتها ، وارتجفت يدها الضعيفة ارتجافاً متعاقباً وهي
تداعب النار . ثم هزت كتفها ، وأبتسمت ومضت تدمدم
وتضحك وتهللى . فرمقها الشيخ بنظرة مستنكرة وأردف :

— يجب ان تصارحى زوجك يا روزين . انه رجل وطنى
مجاهد لا شبهة عليه . . وهو ساعد زميئنا وسنده ، بل هو
انبغ ، أقدر كاتب لتلك النداءات الحماسية التى نوزعها كل
يوم على جنودنا ، والتى تضرم فى صدورهم جلدوة الوطنية
وروح الأمل والإيمان والكفاح . فعار على الولد الا يكون صورة
من أبيه ، وعار على الأسرة كلها ان لم ترده عن غيبه وتلزمه
محجة الصواب ! . . هذا انذار لكم يا روزين فاحذروا ! . .
لسوف تنكشف الحقيقة للزعيم فيورد ابنك الوحيد — ان
عاجلاً أو آجلاً — مورد التهلكة !

فارتعدت المرأة ، وأفاقت بغتة من غشيتها ، وأدركت .
ولم تكد تدرك وتفهم وتتأمل ، حتى هالتها فظاعة الاتهام
الشائن ولم تصدق . لم تستطع أن تتصور أو تسمع أو

تصدق . فاندفعت نحو الشيخ كوحش كاسر ، وصرخت فيه وهي تختلج وتهلر :

— انت كاذب ! .. اخرج .. اقول لك اخرج ! .. ان هذا البيت اظهر وأشرف من أن يلوته مثلك أيها السكير المخرف النمام !

فتحامل الرجل على نفسه وخرج . ولكنه قبل أن يصل الى عتبة الباب ، التفت الى المرأة وقال :

— لقد أبرأت ذمتي . وإذا كانت أمك المعجوز مجنونة ، فلا تكوني أنت وزوجك من العميان !



● وانصرف وهو يتطوح . فاتبعته روزين النظر وقد استولى عليها ضرب من القلق يشبه الخيال . فاندفعت تدرع الحجرة وتردد : « أممكن هذا ؟ .. افى الاحتمال تصور شيء كهذا ؟ .. ابني العزيز المعبود الذي قاتل في صفوف المجاهدين سنة بطولها ، ينقلب من فدائي الى جاسوس ، ويجلب العار على نفسه وعلى والده وأسرته كلها ؟ .. لا .. هذا أفك وزور ! .. هذه وشاية مختلفة ، بلغت من الخسة والبنائة حدا يستوجب قطع لسان كل من يروج لها ! .. ومع ذلك فانا ارتعش .. أنا أوجس خيفة بالرقم منى وأرتاب .. ان الهوى يختم على البصر والبصيرة ، والآثى الحقيبة الفاجرة قد تخنق في الرجل كل شرف وكل عزة وكل ضمير ! .. ولكن لا .. لا يمكن أن تكون « أيفوننا » قد تغلبت على ما أودعته أنا في نفس ولدى من مبادئ وفضائل وقوى . لا يمكن أن تكون قد قهرتني . ان ابني هو قطعة منى ، وبضعة من أحشائي ودمي . فهو اذن شبيهي . ومن المحال أن يتنكر للبطن الذي حمله والدم الذي صاغه وأوجده ! »

وأطلقت صيحة فرح مدوية ، وقالت: وهي تنظر خلال النافذة : « ها هو كارلو ! »

ودخل الشاب يختال في ثوب أبيض أنيق ويتسم .
فارتمت أمه عليه ، فعانقها وقبلها ، بينما كانت الجدة المعتوهة
تشرئب اليه بعنقها تنتظر منه أن يحييها ويقبلها هي أيضا .
ولكنه لوح لها بيده عن بعد وأهملها ، وشرع ينضو عنه
ملاپسه . وكانت أمه تتفرس في جبهته العريضة الناصعة ،
وفي عينيه الزرقاوين وخديه الناضرين ، وشعره الساحر
الموج الذهبى ، وتذكر جلوريا المسكينة ، وايفون الفاجرة
التي سلب لها هذا الجمال . . وتذكر في الوقت نفسه
الشيخ أنطونيو فترتعش . . !

وجاشت عواطفها ، وضاق صدرها بما يحمل . فصاحت
بأبنها وهي تفتأ تحقق فيه :

- أين كنت طوال هذه الأيام الثلاثة ؟ . لقد تقطع قلبى
وقلب والدك لهفة عليك . انه لا يزال يبحث عنك . ذهب الى
ايفون فلم يجدها في بيتها ولم يجدك . فأين ، أين كنت ؟
فتطلع اليها الشاب لحظة ، وأنعم النظر فيها ، ثم قال
في صوت هادىء ثابت عميق :

- كنت معها . . في منزلها القروى الصغير . . وسأ تزوجها
. . سأ تزوجها يا أماء بعد أسبوع !
فاستشاط غضب الأم وقالت :

- وخطبتك ؟ . . خطبتك المنكودة ؟ . . امن اجل تلك
الأرملة الفاجرة يطاوعك ضميرك على التخلي عن خطبتك
العذراء الطاهرة جلوريا ، الفتاة الوطنية المجاهدة التي طأ
أسعفت جرحانا ، وحملت المثونة والسلاح الى جنودنا ،
واستهدفت للموت تحت وابل من الرصاص ؟ !
فتمتم الشاب :

- انى أحب ايفون ، ولا بد أن اتزوجها !

— وأنا أيضا سأعاونهم .. لن احتمل الحياة بعد الآن! ..
ماذا جنيت من خدمة وطني ؟ .. الفقر والبؤس والتشرد
والرعب والاستهداف لموت عاجل يحصرمنى متعسة الحب
والشباب ، وأنا بعد لم أعرف الدنيا! .. اتظنون انكم اقوى
من عدوكم ؟ .. سيتغلب هذا العدو فى الغد عليكم ، ويصبح
اقواكم واقدركم صديقا له ! .. فلماذا لا اصادق انا العدو
القوى منذ الآن ؟ .. لماذا اخدع نفسى واغامر بشبابى وانزل
مختارا عن حقى المشروع فى الحياة ؟ .. لا .. سأتزوج ايفونا ،
واعاون النمسا القوية ، واكون اول ايطالى عرف أين هو
العقل والحكمة والمصلحة والصواب !

فقلبي الدم في عروق روزين وأمسكت بآينها في دعر
وضاحت :

— اذن فحق ما قيل لي من انك انكرت ايديك ومعتقدك
والتحقت بمكتب مباحث العدو؟ .. تكلم .. اجبني !
فحنى الشاب راسه في سكون ، وقال :
— نعم !

فانخلع قلب الاب وصرخت :

تريد أن تعيش أنت وتقتل وطنك ؟ . . تريد أن تعيش أنت وتقتل أباك وأماك ؟

فقال كارلو :

— ما على الحمقى إلا أن يحتملوا المصير الذي اختاروه .
ومع ذلك فأنا سأصـارح والذى : سأحاول أن أقنعه .
سأحاول أن أردّه الى صوابه وأنقله وأنقلكم قبل فوات الوقت !

فهمت روزين :

— اياك . . اياك أن تفعل ! . . اذهب . . اخرج أنت أيضا !
وإذا كان ضميرك قد مات ولا بد لك من ارتكاب جريمة ،
فاقترفها وأنت صامت . اقترفها وأنت بعيد عني ، ودعني
أنقذ على الأقل البقية الباقية من بيتي وشرفي وحياتي . .
اذهب . . عجل بارتداء ملابسك واذهب !
فتحركت العجوز المجنونة ، ومدت رأسها ، وجعلت تنظر
الى الشاب في بلاهة ، وهى تضحك ضحكا متقطعا متعاقبا ،
وترمق من طرف خفى لهب الشمعة وتراقص النار . .



● واثار ضحكها أعصاب روزين ، فرددت ملتمسة متوسلة :

— اذهب . . اذهب ولا تعد أبدا . . اذهب قبل أن يأتى والدك !

فهزت العجوز أصبعها ، وتمتمت فى صوت يشنّبه النحيب :

— لا . . لا . . ولماذا يجب أن يذهب . . انى أحبه . .
انه عشيقى أنا ! . . انه جميل !

فضحك كارلو مقهقها . وعاد فارتدى ثيابه متباطئا ،
وأمه تستعجله وتحثه خشية أن يلتقى بوالده فيضطدم

الرجلان وتهب العاصفة . بيد أن القدر ، القدر الساهر ،
القدر الساخر ، القدر الذى يجهل الانسان سره ويحار في
فهم تصاريفه ، كان أسبق من روزين . . فقد دخل الوالد
في تلك اللحظة نفسها . دخل الوالد ولم تهب العاصفة . لم
تهب العاصفة بسبب أية كلمة نطق بها كارلو ، لأن الشاب
لم يستطع أن يندفع ويتكلم عندما أبصر والده مقبلاً ، ساجي
الطرف ، شارد اللب ، متجهما متقبضا متصلبا !
ولم يلتفت الوالد الى ولده ، ولم يسأله عن سر تغيبه
الطويل عن البيت ، بل التقط أنفاسه ، واستجمع قواه ،
وقال في صوت واضح الخارج ، باتر الثبرات :

— العدو يتعقبني . . لقد عرف الحاكم النمساوى انى أنا
الذى اكتب تلك النداءات الوطنية الحماسية المثيرة ، فاصبر
أمره بالقبض على !

فوجم الشاب ، وجمدت روزين ، وظلت العجوز مثبتة
عينها في الأشخاص الثلاثة ، كأنها تستغرب دهشتهم
ووجومهم وتريد أن تفهم ! . . ولم تعد يدها المرتعشة تخالس
النار . أما الوالد الكهل فلم يحفل باضطرابهم جميعا ، بل
استطرد متجها نحو زوجته وابنه :

— واجبك أنت يا روزين أن تسهرى على بيتك ، وتعتنى
كل العناية بأهلك ، وتنفقى في حكمة واقتصاد من المبلغ الذى
ادخرته أنا لك . واذا نفذ المبلغ واحتجت الى مال ، فألجئى
الى الزعيم فهو لابد أن يساعدك . . أما أنت يا كارلو فاحرص
على عملك فى المصنع ما استطعت . واذا انتدبك الزعيم فى
مهمة وطنية فاطعه دون اعتراض . وغاية ما أطلب منك هو
أن تترقد الى مسلكك السابق القويم ، وأن تعود الى جلوريا ،
وأن تكون أنت رب الأسرة مكانى ، وأن تنهض بهنأ العباء

كرجل شريف ، فتقطع كل صلة لك برفاق السوء ، وكل علاقة لك بالفاجرة ايفوننا ، ولا تترك بيتك واسرتك في الليل ابدا . . لا اريد ان احاسبك الآن على الايام الثلاثة التي امضيتها خارج البيت . ولكني سأحاسبك حسابا عسيرا لو اننى عدت حيا الى هنا . اما اذا قدر لى أن أموت ، فأنت عندئذ وضفرك . ولا اظن ان ضميرك سينطاولك - ولو لحظة - على التهاون في رعاية أمك التعسة المسكينة وجدتك المنكوبة المعجوز . . ان املى كله معقود عليك يا ولدى . . فتعال . . تعال الى صدرى وقبلنى !

فأجهشت روزين بالبكاء . وفتح الوالد الكهل ذراعيه ، وضم ولده الى صدره وقبله . ولكن الشاب كان مطرقا . كان مقطبا . كان كأنه يابى الا أن يكبح عواطفه ويقاوم ، فترك والده يقبله ولم يتحرك ! . . فاستغرب الرجل جموده ، وعزاه الى تأثره واضطرابه . فقبله مرة ثانية في حرارة وحنان ، وهم بأن يعانق « روزين » أيضا ويقبلها . وفي تلك اللحظة ، ماج البيت ، وسمع في الخارج وقع حوافر جياد ، متبوع بصهيل وضجيج . فتصلب الوالد ، وارتعدت الأم ، وأجفل الشاب . وهبت المعجوز المعتوهة واقفة ، وجعلت تحرق في النار ، وتضحك ضحكتها الخفيفة الخاوية المزعجة البلهاء . .



● وفتح الباب في عنف ، ودخل منه ضابط نمسوى مصحوب بأربعة جنود . وقال وهو يتجه من فوره نحو الوالد الكهل :

— الست أنت المزارع وتاجر الحبوب « انريكو » ؟

فتقدم الرجل وأجاب :

— نعم .

فقال الضابط :

— لدى أمر بالقبض عليك أنت وزوجتك !

فتطلع اليه انريكو مبهوتا وغمغم :

— زوجتى ؟ !

فأردف الضابط :

— نعم . الأمر واضح ، وهو يقضى بالقبض عليك أنت وزوجتك وارسالكما الى المنفى ، الى معسكر الاعتقال في النمسا ، حيث تشتغلان بقطع الأحجار وتعيد الطرق مدى الحياة . .

فذهلت روزين ، وارتجف انريكو وتطوح . بيد أنه تمالك نفسه وقال للضابط في دهشة :

— وهذه العجوز ؟ . . وولدى ؟ . . ولدى كارلو ؟ . . ألم ينص الأمر على أن يعتقلا معنا ويرحلا في صحبتنا هما أيضا ؟ فابتسم الضابط وأجاب :

— العجوز سنرسلها الى أحد المستشفيات . أما ولدك ، ولدك كارلو ، فقد أصبح منا . أنه يجاهد الآن معنا . أنه اليوم عضو عامل في مكتب المباحث النمساوى !

فتداعت الأم وانسحقت . أما الوالد الكهل فقد شهق وتراجع كأنما قد نفلت الى صدره طعنة سكين . غاض دمه ، واصفر لونه ، واتسعت حدقتاه اتساعا مروعا ، وبدأ عليه أنه يتأرجح على حافة هوة سحيقة ، يشهد فيها مصرع آماله كلها وهو حى . غير أنه تمالك نفسه ، واستنهض جاهدا ميت قواه ، وانقض على ولده وصاح :

— أنت ؟ ! . . أنت أصبحت مارقا غادرا وخائنا ؟ ! . .

أنت أصبحت نصير المستعمر في بلادنا ، وصنيعة في قريتنا ، وجاسوسه الحقير المأجور علينا ؟ ! . . تكلم . . . أحب !

فأشاح الفتى بوجهه وصمت . ثم اندفع في جراءة منكرة وقال :

— ما زال في وسمى أن أنقذك وأنقذ أمي لو اقتديتما بي !
فصرخ الوالد الكهل :

— أخسأ . . . فها أنت الا وغدا ! . . . ابتعد . . . انطلق من
هنا ! . . . عليك اللعنة . . . عليك اللعنة من صميم حسرتي
وعذابي . . . عليك اللعنة من خالص حقدى وعجزى ومذلتى !

واخفى وجهه بين راحتيه ثم انتفض وأهأب بزوجته :
— أعدى متاعنا يا امرأة ولنذهب ! . . . الوداع يا ماري !
واندفع نحو العجوز وقبلها . ثم اتجه صوب النافذة
المفتوحة . وظل يسرح بصره في الفضاء فترة ، ويستنشق
ملء رئتيه هواء قريته العزيزة ، كأنه يودعها هي الأخرى ! . .
ولما أتمت روزين جمع متاعها ، وهمت بأن تميل بالرغم منها
على ابنها الوحيد لتقبله ، عاجلها الكهل بلفطة وحشية
مستنكرة ، ثم جذبها في عنف ، وتقدم الجند — متبوعا بها —
وخرج منصوب القامة ، مرفوع الرأس ، دون أن يلقي على
ولده نظرة !



● وبعد أن أوصد الباب ، وساد في الحجرة الملتمة
بضوء الشمعة الكبيرة سكون شامل زافر ، تحركت العجوز
العتوثة ، وتغير بفتة وجهها الداكن المصفر ، وزايله — في مثل
لمح الطرف — كل أثر للبلاهة والذهول والشرود . فهبت من
مقعدها ، ودنت من الشاب ، وصاحت به وهي تهزه هزا
متعاقبا ، وتردد :

— خذنى . . . خذنى معك ! . . . لن اذهب ابدا الى
المستشفى . . . أريد أن أعيش معك . . . أن أعيش بجوارك . . .
أعتقد أن امرأة مثلى كانت بالأمس القريب مثال العقل والقوة ،
يمكن أن تصبح بين عشية وضحاها مجذوبة ومجنونة ! . .

انهم المجانين ! .. اما أنا فقد ثبتت وتذمت . عرفت ان الوطن
 خدعة ، والجهاد لوثة ، والاستقلال ضرب من المحال ..
 عرفت قيمة الحياة وأنا على حافة القبر .. ما كدت أقتل
 الضباط النمساويين الأربعة حتى ثبتت الى رشدى ، ولست
 حماقة فعلتى ، فاصطنعت الجنون كي أنجو من الموت وأعيش
 .. فدعنى أعيش معك يا كارلو وخذنى ! .. أنت الحياة
 بأسرها اليوم فى نظرى .. سأحب زوجتك كما أحبك ..
 سأخدمها كما أخدمك . فلا تحرمنى من هذه النعمة يا كارلو
 وخذنى ! .. خذنى اليهنا .. الى أيفونا .. انها تنتظرك !
 لماذا تتردد ؟ .. أتريد أن تجهز على .. أنت ؟ .. ولدى ؟ ..
 حبيبى ؟ .. كل ما بقى لى ؟ .. لا ، بل ضع ملابسك هنا ..
 ضعها فى هذه الحقيبة ولتمض .. نعم . هكذا .. آه ..
 اشكرك .. اشكرك وأقبلك ، أقبلك من صميم فؤادى !

وما ان انحنى الشاب على الحقيبة وطفق بدس فيها
 ملابسه ، حتى برقت عينا العجوز وتوترت عضلات وجهها ،
 وغافلت كارلو وهو مطمئن وانقضت عليه .. وقبل ان يتنبه
 او يتحرك او يحاول النهوض ، أسرعت فاختطفت غدارته من
 صدره ، وصويتها الى وجهه ، وصاحت به وعيناها الجاحظتان
 تلمعان :

— أكنت حقا تظن أنى قد ثبتت مثلك عن الجهاد يا كارلو ؟
 .. لن اتوب أبدا عن تأدية واجبى وفى صدرى نفس يتردد ..
 انظر الى هذه الشمعة المتقدة .. لقد كنت أضيئها كل ليلة ،
 وأبقيها هنا ، بجوارى ، لأذكر فى وهج اللهب المقدس المندلع
 منها أن على — أنا العجوز الفانيصة — أن أجاهد أيضا
 ما استطعت ، فى سبيل بلادى ! أجل ، أنا ما اصطنعت الجنون

(البقية صفحة ١٩)

قصة من الهند

القربات!

للكاتبة الهندية: نرجس دلال



ترجمة: ح. أ.

شخصيات من مخلفات الاستعمار في الهند

من ذوى النفوس الضعيفة ، من يظن أن الانتساب للأجنبي مدعاة للفخر والزهو ، حتى على بنى وطنه وعنصره .. وقد عانت البلاد التى تعرضت للاستعمار وقاحة كثيرين من هذا الصنف من الانقياء .. وكانت الهند أكثر معاناة من سواها ، إذ كان الانتساب للجنسية « البريطانية » مبعث عجرفة وصلف أن حرموا من الاعتزاز بلونهم ومن الاعتداد بقوميتهم ..

وفى هذه القصة ، تصور لنا الكاتبة الهندية « دلال نرجس » إحدى هذه الشخصيات ، فى أحداث جمعت بين الواقعية والخرافة !

● انطلقت السيارة ناشرة ضوضاءها فوق طريق وعر يغطيه الحصى ، وقد علت طبقة من التراب الأسمر أجنحتها وغطاءها وسائر أجزائها ، التى كانت تتلأأ قبل قليل . وامتدت الحقول القاحلة الجرداء فى كل الجهات ، فى أخاديد متكلسة ، حتى سفوح الجبال التى لفتها غلالة من وهج الحر .. غلالة خفيفة كال دخان ، مائلة الى الزرقة .

ولم يكن السيد « تريانا » يكف عن التطلع - وهو فى جلسته المريحة - الى ما حوله من مناظر تلك المنطقة . لقد قام برحلته هذه كى يرى بلاد الهند ، وقد عقد العزم على أن يشاهد منها بقدر ما أنفق على الرحلة .. فرأى المراعى الفنية والروابى الخضراء فى الشمال ، وشاهد مزارع الشاى فوق المنحدرات ، وزار بعض المعاهد والأطلال ، ورأى السدود التى أقيمت حديثا . وها هو ذا يرغب فى زيارة المنطقة التى تجتاحها المجاعة .. وكان حريصا على التقاط بعض الصور

لبعض النسوة الزيلات ، بأثباتهن الملائكة كالتقرب ، ولينفض
الأطفال الذين ضلوا أعضاؤهم هزالا ، وانتفضت بطونهم في
بشاعة تستحق التسجيل . . فسوف ينشر هذه الصور في
صحيفته لدى عودته مباشرة . . وسوف يكون لهذا دوى
صحفي مشير ، ومن ثم فقد حرص على أن تكون الصور بالغة
الدقة والوضوح .

أما ركاب السيارة الآخرين ، فلم يسدو عليهم أنهم
يشاركونه قدرا يذكر من حماسه . على أن هذا لم يكن
ليعكر مزاج السيد « تريانا » على الإطلاق ، فما من شيء
يستطيع أن يصرفه عن غرضه . وكانت الحرارة تنقض عليهم
— بلا هوادة — من خلال النوافذ الزجاجية المغلقة . . حرارة
لا تكاد تطاق ! . . وكانت الأتربة تنفذ من بعض الشقوق
الخفية — في السيارة — فتنتشر على جلد المقاعد الفاخر !

وراحت صفرى السيدتين تجفف العرق عن جبينها ،
وهي مستلقية في استرخاء على مقعدها الوثير . كانت ذات
وجه نضير أملس ، على الرغم مما تركه الإرهاق على ملامحها
من علامات . . سوداء الشعر ، يتراقص في عينيها قبض من
الأشعة الذهبية . . ولعلها كانت في الثلاثين من عمرها . .

أما السيدة الأخرى — وهي شقيقة السيد « تريانا » —
فكانت أكبر سناً ، وقد تهالكت في أحد أركان العرب ، فافرة
الفم ، متجهمة ، تغفو في نعاس مضطرب ، وقد علتها طبقة
رقيقة من الأتربة غطت شعرها ووجهها وعينيها ، وتراكت
فوق حاجبيها وأهدابها . . وكأنها أحد مقاعد العرب ! . .

ولم يكن يلوح عليها أنها تدرك شيئا مما حولها !

أما السائق فكان شابا هندوكيا ، ذا رشفين نحيلين
مرنين ، وقد أمسكت يداه الرقيقتان بعجلة قيادة السيارة
الضخمة بيسر ، وأخذتا توجهانها دون جهد واضح . وكان

هو الشخص الوحيد الذى لم يعانى وطأة حرارة الجو ..
ولقد كان يعمل ضابطاً من قبل ، وقد أعير للسيد « تريانا »
طوال فترة الرحلة ، على أن يقوم - فى نفس الوقت - بدور
المرشد والمساعد . ولم يكن يفتح فمه على الإطلاق ، اللهم
الا ليشير فى عبارات موجزة الى ما هو مثير فى تلك المنطقة
من مواقع !

● وهاهنا نحو السيد « تريانا » ، قائلاً :
- اسمع يا « بريتام » ، ابحث لنا عن ركن نستطيع أن
نتوقف فيه ، لتناول الفداء !.. يطيب لى أن أصيب شيئاً
من الطعام !

وأوماً « بريتام » بحركة من رأسه توحى بأنه قد سمع ،
وان لم يحول عينيه عن الطريق ..
وأحرق ذلك السيد « تريانا » ، الذى لم يكن يحب
الهندوكيين ، لا سيما الصموتين منهم .. كان ميالاً الى
الثثرة ، قصر القامة ، ضخيم الجسم ، ذا عضلات قوية
ثقيلة ، نحاسى البشرة . وكان شديد الزهو بإعلان جنسيته
الانجليزية ، لا يكف عن أن يلوح بجواز سفر بريطانى ليؤيد
دعواه .. وربما كان هناك خطأ ما ، فان جواز السفر
البريطانى - الذى كان السيد « تريانا » يحمله - لم يحل
دون أن تكون بشرة الرجل داكنة كبشرة « بريتام » ، أو أن
تكون عيناه صغيرتين سوداوين براقيتين ، أو أن يكون ذا شعر
طويل أسود ، يلمع بفضل ما كان يعلوه من « بريانتين » ..
كان حريصاً دائماً على العودة الى طرق هذا الموضوع
ما أمكنه ، شأن من يريدون أن يؤكدوا انتماءهم الى أصل
مشكوك فيه !.. وما أشد ما كان ينتابه من « حنين » حين
يتحدث عن « وطنه » - بريطانيا ! - وت فوق هذا الوطن على

غيره من الاوطان . كانت الشعوب الملونة جميعا - شعوب ذوى البشرة الصفراء والنحاسية والابنوسية - لا تعدو في رايه ان تكون سلالات زنجية اعتاد ان يختصها بمشاهير الازدراء . وكان دائم السخرية بكل ما يراه ، ينتقده بلسان حاد . . . وكم امتلأت بالغبطة الخبيثة نفسه لكل ما كان يمر به من قرى يسودها الخراب والجذب ، حتى انه كان يفرك يديه اعلانا من سعادته ! . . . ولعله كان يتصور ، وهو يحشر نفسه في زمرة الانجليز ، ان باستطاعته ان يغير من لون بشرته وشكل عينيه !

لكم تساءل « بريتام » - الضابط السابق بسلاح المدفعية - ساخرا عما عسى ان يكون مسقط رأس هذا السيد « تريانا » . . . لعله ولد تحت سماء في مثل زرقة هذه السماء ، وفي مناخ اشد حرارة من هذا المناخ . . . بيد ان « بريتام » كان حريصا على ان يقف موقفا سليما ، وكان ما يتمتع به من دماء خالق يحمله على الا يدع اية فرصة لظهور ما كان يجد من تسلية وفكاهة حيال تعظيم السيد « تريانا » وادعائه !

وانحرفت السيارة الضخمة عن الطريق لتصل الى تل كان يبدو - عن بعد - كانه كومة قنبيحة من الاحجار . وهناك ، اكتشفوا حصنا مهجورا ، يستطيع المرء ان يجد بداخله ملاذا من وطاة الشمس ، وان يعثر فيه على مكان رطب تستروح فيه النفس من شر هذا الهجير ! وخرج الجميع من السيارة يتمطون في اغتباط لأول مناسبة سنحت لهم للحركة . . . وتشاءبت الفتاة ، ورفعت ذراعيها الى ما فوق رأسها ، كقطة صغيرة كسول . وأخذ السيد « تريانا » - الذى لم يكن يحول عنها عينيه - يمر بطرف لسانه فوق شفثيه الغليظتين ، ويدنو منها ليمسك

بذراعها العارية بين أصابعه الضخمة .. ثم قال لها في
تلطف : « أسرعى الى الظل يا هيلين ! »

وقرص ذراعها ، وهو مستمر في مزاحه : « كيف يكون
حالتنا ، اذا انت أصبت بضربة شمس .. هه ؟ »
وابتعدت عنه الفتاة في فتور ، ودخلت الى الحصن وراء
السيدة الأخرى .. الواقع أنها لم تكن تحب السيد
(تريانا) ، ولكن وضعها - كمرافقة للسيدة (جوردان) -
شقيقته - كان يحتم عليها أن تحتل الكثير مما لا يروقها
منه .. وكان وقت النسيم على قبولها هذا الوضع قد
انقضى !

وتوقفت خلفهم عربة ثقل صغيرة ، كانت تتبعهم على
مسافة كافية ، فنزل خادمان وأخرجوا منها سلالا ، وبسطا
بعض المفارش ، وأعدا المائدة في حرص ومهارة ينمان عن حلق
لهنتهما .

● وما لبثت السيدة « جوردان » - التي ظلت أثناء
هذه الاستعدادات صامتة ، وأن راحت تتأمل الغداء بعين
نهمة - فقد انقضت على كومة الشطار بيد متلهفة ، وراحت
تلتهم منها بنشوة وشره .. بينما كانت « هيلين » ترقبها
بشعور مزيج من الشفقة والاشمئزاز . وانتحى « بريتام »
جائبا ، وقد بدا على سجيته ، في قميصه الأزرق ذي الياقة
الفتوحة .. وتجلى على وجهه ذلك التعبير الذي ظل
يلزمه ، والذي كان ينم عن البرود والتباعد ، وكأنه كان
يرجو بذلك أن يقيم حاجزا بينه وبين الآخرين .

لم يكن السيد « تريانا » يكف عن إثارة طوال فترة
الرحلة . وقد ظل يضايقه بالملاحظات المخرجة عن عادات
الشعب الهندوكى ومعتقداته ، ولكن « بريتام » ظل - من

ناحيته - ثابت الجنان لا يتأثر . وكان موقفه هذا مما أثار حيرة ((هيلين)) ، فقد كان عدم اكترائه يحنقها تارة ، ويحذر لها على الإعجاب به - تارة أخرى - لما كان ينم عنه من سيطرة على النفس . . . سيطرة تفوق كل تصورات ! وقد دفع هدوء « بريتام » السيد « تريانا » الى ذروة السخط ، في النهاية ، فصاح يعلن بازدراء :

« بلد رائع . . . يمكن أن يقال إنكم قد بلغت درجة من النضج تؤهلكم للتمتع بالاستقلال . . . أو بتعبير آخر ، يمكن أن يقال أنها تبيح لكم الحق في أن تموتوا جوعاً في سلام . . . دون أن يؤذن لأحد بالتدخل في شئونكم . »

ولكن « بريتام » ظل على صمته . . . وهنا انتابت السيد « تريانا » نوبة حنق بارد ، وكأنما عقد العزم على أن يفعل أى شيء من شأنه أن يحدث استجابة لاثاراته . . . كان يريد أن يرى الغضب يزيح ذلك القناع - الذى لم يكن يملك أن ينفذ خلاله الى ما في نفس الرجل - ويصطبغ هذه البشرة السمراء بحمرته ، ويشعل الشرر في هاتين العينين اللتين كان هدوء نظرائهما أسوا أثرا من الإهانة . لذلك طوح بذراعه في اتجاه القرية القاحلة ، وفي اتجاه الأرض التى كانت تتشقق جديبا تحت الشمس ، قائلا :

« فيضانات ، مجاعات ، فساد ، رشوة ، زيادة في السكان ، نتيجة رائعة ! . . . هه ؟ ان أحد لم يستطع - منذ غادرنا هذه البلاد - أن يفرض أى قدر من النظام . . . ليس لديكم من معنى كلمة الحكومة سوى الثروة الفارغة ، ينساق اليها بعض الساسة الذين أسكرتهم نشوة السلطان ! . . . كيف تجرؤون على المساهمة في جلسات مجلس الأمن ؟ . . . كيف تتأتى لكم القوة لتقديموا للعالم ارشادات من عندكم وتوجيهات . . . انتم يا من تتخبطون في أبشع ألوان الفوضى ؟ . . . يالها

من وقاحة لا تطاق ، ان يندفع أناس في ابداء النصح والدعوة للنظام ، وهم لا يعرفون كيف يواجهون دفعة زورقهم !

وفي لحظة خاطفة كأنها وميض البرق ، لاح أن « بريتام » يوشك أن يهم بالانتقضااض على السيد « تريانا » ، فيقبض بأصابعه الطويلة على عنقه ، ويضغط بكل قواه . ولكن يديه المتوترتين ارتدتبا بسرعة ، وقال بلهجته الانجليزية التي لا تشوبها شائبة :

— أظن أن وقت الرحيل قد حان ، اذا اردنا أن نصل الى « الشاليه » قبل حلول الليل !



● وكانت السيدة « جوردان » تنقل بصرها بين

الرجلين ، والقلق يرسم على وجهها تعبيرا يزيد من معالمة البلاهة التي تعلو أساورها . . وما لبثت أن قالت بلهجة تنم عن التوفيق والمصالحة :

— سيد « بريتام » ، ليس عندك من معلومات مثيرة تود اطلاعنا عليها ، بشأن هذا الحصن ؟
وتطلع اليها « بريتام » ، ثم ابتسم قائلا :

— انه ليس سوى حصن قديم بلا تاريخ . . على أنه من المعلومات الطريفة ، ان لدى القرى المجاورة عادة جديدة بالذكر ، تتمثل في أن يقدم السكان الى اله المطر قرايين بشرية . . وبدا ان القانون — في أيامنا هذه — يحرم بالطبع مثل هذه العادات ، فان كثيرا من الفلاحين — من سكان المنطقة — يعتقدون اعتقادا راسخا ، أنهم ما كانوا ليواجهون هذه المجاعة لو أنهم قدموا الى الاله قريانا !

فأطلقت السيدة « جوردان » صيحة خفيفة ، ثم عن الانفعال والرعب ، وهتفت :

... اتعنى انهم كانوا يتقربون الى الآله بمخلوقات بشرية
حقاً ؟

واردفت هيلين : « يا الله !.. هذا غير معقول ! »
فهر « بريتام » كتفيه ، وهو يجلس الى مجلة القيادة ،
وقال :

... عجباً !.. هذه ليست سوى وسيلة من الوسائل
لمواجهة الأمور . انهم يضحون بكائن بشرى فى سبيل انقاذ حياة
المئات من الادميين .. وفى الوقت ذاته ، نحن هنا نرى أن
من البشاعة ارسال الناس الى بلد أجنبى ، بهدف قتل اناس
آخرين لا يكونون لهم شيئاً من العداة !.. وعلى أية حال ، فان
هذه العادة قد انقرضت منذ عهد بعيد .

وصرخ السيد « تريانا » بلهجة غاضبة :
... هل تتناول فتقارن تلك الشعائر الوحشية ، التى
تؤدىها قبيلة بدائية جاهلة ، بالحملات التى تنظم تنظيماً دقيقاً
فى الحروب الحديثة ؟

وقال « بريتام » فى نفسه ، وقد بلغ به الضيق مبلغه :
« ها هو ذا يعيد الكرة ! » .. ولكنه بذل جهداً جباراً
للسيطرة على نفسه .

كانت السيارة تسير ببطء فى طريقها المرسوم ، فصرف
ذهنه الى تأمل روعة الآلات الحديثة .. قد لا تواتيه الفرصة
... بعد اليوم - ليقود سيارة لها مثل هذه الروعة والمرونة .
وزاح - وهو مقطب الجبين - يركز كل اهتمامه على الطريق
.. ترى بالله ، ماذا سيتاح لهذا الكائن المترهل أن ينشر فى
صحيفته ؟

كانت الحقول العارية - التى ألهبها الشمس وأجديتها -
تتتابع فى خط واحد ، على مدى البصر .. وعلى مسافات
متباعدة ، كانت الأبصار تلتقى بهيكل شجرة وحيدة ، تمتد
أغصانها الى السماء ، أو مجموعات صغيرة من الأكواخ

المتناثرة ، عبر تلك المساحات المترامية الموحشة .. ولكنها لم تكن تقع على كائن بشرى ، وكأنما لم يقدر لمخلوق من الأحياء أن يخاطر ويتوغل في هذه الصحراء !



● وأخيرا بلغوا « الشاليه » . وعند عتبة « الفيراندا » ، ظهر كهل بادی النعاس ، راح يتأمل السيارة الفارهة وركابها في بلاهة .. كان المسكن نموذجا لماوى كلاسيكى : اثاث عتيق تغطيه الاتربة ويخيم عليه نسيج العنكبوت ، وحشيات يسמע صرير زئير كاتها المحطمة . وأسرع القوم ينشرون الملاءات النظيفة ، قبل الشروع فى اتخاذ الترتيبات الخاصة بوجبة المساء . وأقبل على المكان بعض الأهالى الشاحبين ، النحاف ، فى اسمال بالية ، وقد اجتذبتهم انوار المصابيح والضوضاء والحركات غير العادية ، فراحوا يحومون حول « الشاليه » . وكانت « هيلين » أول من رآهم ، فأطلقت صيحة قصيرة ، تشبه بها رفاقها . ولحقوا بعض الأطفال .. كائنات صغيرة تثير الشفقة ، اذ ضممت أعضاؤهم ، وانتفخت بظونهم ، وراحوا يتأملون الغرباء بنظرات ثابتة ، لا تشى بشيء .. نظرات كانت تنبعث من عيون واسعة ، ذوى بهاؤها !

وغمضت « هيلين » وقد غص حلقها : « اواه ! .. يا للصغار المساكين ! »

بيد أن السيد « تريانا » أخذ يفرك كفيه ، وقد بدت عليه علامات الإغتياب .. وقال :

— أنا على يقين من أننى سأحصل على ما أبتغيه من صور مشيرة !

والتفت الى « بريتام » ، قائلا : « أخبرهم بأننى أريد أن يحضروا غدا ، لألتقط لهم بعض الصور الفوتوغرافية ! .. وقل لهم أن يحضروا معهم أنحف ثساء المنطقة وأشدهن

سمورا .. نسوة يعطين الاحساس بالموت جوعا ! .. انك تفهم
 ما اعنى .. قل لهم انى سأمنحهم بقشيشا طيبا ! »
 ونطق « بريتام » ببعض الالفاظ السريعة مخاطبا أكبر
 الرجال سنا . واتجهت نظرات الشيخ الى السيد « تريانا » ،
 فظل يتأمله محققا فيه لحظات طويلة ، حتى اضطرب السيد
 « تريانا » ، واحس بالارتباك ، فأخذ يردد : « ماذا أصابه ؟ ..
 ألم يفهم ؟ .. أم ماذا ؟ »

ودمد المواطن مخاطبا « بريتام » بشيء ما ، فقام هذا
 بترجمة حديثه :

— صباح غد ، عند شروق الشمس ، عليك ان تذهب الى
 أكوابخهم ، وسيعرض عليك هؤلاء القوم كل ما تحب ان تراه !
 .. هل تحب ان توجه أسئلة أخرى ؟

فقال « تريانا » بلهجة مفعمة بالاغتياب : « قل لهم اننى
 احب ان اشهد عملية تقديم قربان بشرى ! » .. وراح يطلق
 قهقهة صاخبة .. فرمقه « بريتام » فى صمت أخرس ضحك
 الرجل فى حلقه ، بينما تسلك الأهالى فى طينات الظلام .



● وعندما أعد العشاء ، اتخذ أفراد الجماعة الصغيرة
 أماكنهم الى المائدة .. كانت وجبة رائعة ، تشهد بما لصناعة
 الأغذية المحفوظة من أفضال .. وتناولوا بعدها أكوابا من
 القهوة المسكرة ، المزوجة باللبن .

وكانت « هيلين » — خلال الغداء — تاكل بطرف شفتيها ،
 وحين رفعت عينيها ، لاحظت أن « بريتام » لم يمسي أى طبق
 من الطعام ، بل انصرف الى احتساء قهوته فى رشيفات
 صغيرة ، غافلا عما حوله ، وقد شردت نظرتة بعيدا فوق
 رؤوس الموجودين .. وكانت السيدة « جوردان » فريسة
 للتوجس ، فأخذت تقضم الطعام دون اقبال عليه ، وهى

تتلقت نجو النوافذ - من آن الى آخر - بنظرات قلقسة ،
تسائل الظلام الذى كان يلف الشاليه ، وكأنها تخشى ظهور
عينين لامعتين فى وجه هزيل !

أما السيد « تريانا » ، فأخذ يأكل بارتياح تام ، متذوقا
كل الأصناف ، مجففا شفثيه بمنشفة ناصعة البياض ، ملتهمها
كميات ضخمة من الطعام .

وعندما بدت طلائع الفجر التالى ، كان السيد « تريانا »
على أهبة الاستعداد .. وكان الجو ينذر بيوم قائف ،
والسمااء شديدة الزرقة . وعلى البعد ، كان الناظر يميننا
يلمح مجموعة من الأشجار قرب بئر جافة .. وكانت الأبصار
ترتد دائما الى هذا المكان ، تجذبها اليه قوة خفية لا سبيل
الى مقاومتها .

وقام السيد « تريانا » بإعداد آلة التصوير ، وعلقها الى
عنقه بسير من الجلد ، ثم قال :

- حسن ! .. قم منى « يا بريتام » !

وأجاب « بريتام » فى برود : « كلا . لن أذهب ! »

ولو ان أحدا رأى السيد « تريانا » - اذ ذاك - لخيّل
اليه انه لن يلبث أن يصاب بسكتة قلبية . وكرر الشاب ،
بنفس اللهجة اللامبالية ، قوله : « لن آتى ! .. اننى اتقاضى
أجرى لأريك البلد فحسب ! .. وهذا هو كل عملى ! »

● ● ●
● مكث السيد « تريانا » مسجرا فى مكانه ، وقد أخرسه
الذهول ، وغاب عن وجهه كل اشراق .. وكان الجهد - الذى
راح يبذله كى يكتم غضبه - يزيد من انتفاخ شرايين رقبتيه
وصدغيه .. ثم وضع قبعته فوق رأسه ، دون أن يضيف
كلمة واحدة ، ونسط الضوء الباهر الذى كان يغمر السهول .
وانقضت عليه حرارة الجو دفعة واحدة ، فى قسوة

لا ترحم ، ولكنه لم يعرفها أى اهتمام . . كان الحنق والسخط
يتدبران فى داخله . . وكانت الأرض الوعرة تحيل سيره
تعثرا . والمحصولات القليلة توشك - تحت لفيح الشمس -
أن تدبل فى حقولها . وكان مجرى النهر قد جف من أمد بعيد
وتراكت فيه الرمال . وأخذ السيد ((تريانا)) يتعثر فى
مشييته - من وقت لآخر - فيتنثر السباب خافتا من بين
أسنانه . وشعر بان ثيابه - على رقتها - ثقيلة جدا ،
لا تتناسب مع حرارة الجو ، فقد أخذ العرق يتفجر من جسمه
غزيرا ، فيغمره ويملا سترته بقعا مبتلة . . وعلى مقربة من
القرية ، أخرج من جيبه متديلا مضمخا بالعطر ، فجفف به
وجهه .

كان ثمة رجال ونساء راقدون أمام الأكواخ ، أو على
عتبات الأبواب ، وكأنهم غابوا فى سبات مخيف . . ولم يكن
من اليسير - لأول وهلة - أن يميز الإنسان بين الشباب منهم
والشيوخ ، من فرط ما فعل العذاب والجوع بوجوههم . .
ولم يأت أحدهم بأدنى حركة ، عند اقتراب السيد « تريانا » ،
وان بدت عيونهم - التى كانت تتقد محمومة - مفتحة ، وقد
اتجهت نحوه ، تحمق فيه !

واتخذ السيد « تريانا » الطف مظهر له ، اذ كان بازاء
موقف فريد تماما . . كانت سحنهم تبعث على الدهول .
يالها من مجموعة صور مشيرة سيحدث نشرها فى صحيفته
دويا هائلا !!

وفى رقة مصططعة ، مال السيد ((تريانا)) على نسيبة
شابة منبطحة فوق التراب ، شبه عارية ، وهى تحتضن طفلا
وليدا . وازداد السيد ((تريانا)) انحناء عليها ، وأخذ يتفحص
الطفل بعناية . . كان ميتا ! . . وكان لا يزال فافرا شفثيه ،
وكانه كان يصر - حتى بعد الموت - على طلب الزاد !

ووضع السيد « تريانا » يده الغليظة فوق كتف الام الهزيلة البادية العظام .. كل ما كان ينبغيه هو أن تخرج الام من منطقة الظل ، كي يلتقط لها صورة فوتوغرافية . ولكن حركته فجرت في ذلك الجو الساخن ما يشبه الصدمة الكهربائية ، فراجع الى الوراء خطوة ، وتطلع الى ما يدور حوله ! ..

كان الرجال والنساء جميعا قد نهضوا في حركة واحدة مرنة ، وفي صمت ، كأنهم أشباح في حلم مزعج .. كانت الساكن قائمة على ثلاثة أضلاع من منطقة مربعة .. أما الضلع الرابع ، فكان المخرج الوحيد من القرية .. وعند هذا المخرج ، تجتمع القوم كشخصيات في أحد « الباليهات » الخرافية ، فقطعوا بذلك خط الرجعة على السيد « تريانا » .. وأخذوا يتقدمون نحوه في صمت رهيب ! رأى السيد « تريانا » عشرات النظرات المتقدة مسلطة عليه .. نظرات تنم عن تصميم لا يرد . ومضوا يقتربون ، ويقتربون ، ويزدادون اقترابا !

وسرت في أوصاله رعشة رعب .. وراح يتراجع - وقد استسلم للخوف بدافع غريزي - حتى أحس بجدار ساخن خلفه ، فاستند اليه . محال أن يمضي الى أبعد من هذا ! .. ومن كل الجهات حوله ، ظلت ترمقه عيون قريبة ، يصلية بريقها ويحطمه .. عيون داكنة ، في وجوه داكنة ، غامضة ، قاسية ، ملتهبة !

ها هوذا يشتم رائحتهم ! .. كان كمن يترقب نهايته ، دون أن يأتي بمجرد حركة يدفع بها عن نفسه . ويبد مرتعدة فتح سترته ، وأخرج من جيبه حافظة منتفخة بأوراق النقد .. وتلعثم قائلا وهو ينزع حفنة من الاوراق المالية التي بسطها :

- خذوا ! .. هذه لكم !!

وسقطت الأوراق من يده وديست بالأقدام . وأجهز هذا
الاحتقار - الذى قوبل به المال - على أعصابه وحطمها نهائيا ،
فانهار . . وصرخ : « النجدة ! » . . ولكن صوته ارتد اليه
مرتعشا ، بالغ الضعف !
- النجدة ! النجدة !

العيون ! . . الوجوه ! . . كل شيء ضده ! . . وبفئة برزت
أطراف الخناجر تومض ثورا تحت أشعة الشمس . صرخة
مكروبة . . حادة ومتصلة ! . . وفي السماء ذات الشمس
الحارقة ، شرعت العقبان تحوم . . بلا عجلة ! . .
وفي « الشاليه » : انقضى النهار ببطء ، ولم يظهر السيد
« تريانا » وقت الغداء ، ولكن احدا لم يسرف فى القلق عليه ،
وان كانت دقائق الطبول الأولى ، قد أثارت فى نفوسهم شعورا
غامضا بعدم الارتياح . . اذ كانت دقائق الطبول تتصاعد -
وسط وهج القيظ - بطيئة فى البداية ، كأنها وجيب قلب
هامد . . ثم أخذت تزداد سرعة وشدة ، حتى أصبحت تدوى
بوحشية ضارية . . وسرعان ما امتلأ الجو كله بهذه الدقات
الظافرة ، يصاحبها ترنيم رتيب ، رهيب !



● وتناهت كل هذه الضوضاء الى الجالسين فى
« الشاليه » ، فأخذ تتابعها السريع يلقي فى قلوبهم رعبا
لا سبيل الى وصفه !

وعندما قرروا - أخيرا - أن يخرجوا للبحث عن السيد
« تريانا » ، وجدوا الطبول تحاصرهم من كل اتجاه . . شعروا
بها أمامهم ، وخلفهم . . وكانت تدور ، وتدوى ، فى نشوة
عاطفة بدائية هوجاء !

ولم ير أحد السيد « تريانا » ، بل اصطدمت أبصارهم
بوجوه خالية من كل تعبير . . وجوه جامدة ، لا تسبيل الى

النفاذ الى ما ورائها .. وكأنها أصيب أهل القرية بالعمى ، فلم يكونوا يبصرون .. وبالصمم ، فلم يعودوا يسمعون ! ولم يلح الأغراب في سؤال القوم .. وما كانت بهم حاجة الى السؤال ، اذ أن المخاضوف التي خامرتهم ، سرعان ما تجسدت أمام أبصارهم .. جسدها منظر الطيور السوداء تحوم في السماء ، ثم تحط على مكان قريب .. وسعوا الى ذلك المكان ، فانزعجت الطيور الجارحة ، وطارت .. وتبين الأغراب أنها كانت تحط على جثة السيد « تريانا » .. والحق انهم لم يتعرفوا على الجثة الا بالحدس .. أو ما يشسبه الحدس !

ودثروه في ملاءة بيضاء ، ورفعوه الى سيارة النقل الصغيرة .. وكانت السيدة « جوردان » تئن بصوت واهن مبجوح .. وراحت « هيلين » تتطلع - وقد نضبت دماء وجهها - الى « بريتام » ، وكأنها تهتم بأن توجه اليه سؤالاً ما ! ولم يكن « بريتام » قد فقد شيئاً من هدوئه ، مما مكنه من أن يعجل باتخاذ التدابير للرحيل ..

وعندما هموا بمغادرة المكان ، بدأت الأمطار تتساقط .. نقاط ضخمة ، ثقيلة ، واخذت تزداد غزارة ، حتى تحولت الى سيل تدفق فوق سقف السيارة ، بينما كان قصف الرعود يتتابع في هدير !

وتطلع الثلاثة الذين كانوا في السيارة ، كل الى الآخر ، في صمت ..

ومن خلال خيرير الميساه المتدفقة وهزيم الرعود ، ظلوا يسمعون دقات الطبول المنتصرة ، الظافرة ، وكأنها تنبعث من أحشاء الأرض ذاتها .. الأرض الجائعة ، التي أخذت قوتها تعود اليها من جديد ، في تلك اللحظات !

قصة من اليابان

الابن والام!

للقصص الياباني:
جواران هيزاءو



ترجمة : حمادة ابراهيم

لا يفلح الاستعمار في تغيير الشعوب العريقة !

تعمد دعايات مفرضة أن تصور للراى العام العالمى ، أن الشعب اليابانى قد تغير تحت الاحتلال الأمريكى ، وتخلى عن حضارته العريقة ، وتقاليده التى كانت مصدر فخر واعتزاز لليابان .. ولكن القصة الإنسانية ، التى يقدمها « كتابى » على هذه الصفحات ، والتى كتبها قصاص يابانى شاب ، « دو جواران هيزامو » ، تؤكد - فى وضوح - أن الشخصية اليابانية ما زالت قائمة خلف أستار المظاهر ، وأن حضارة اليابان وتقاليدها لا تزال مكيئة متصلة .. حتى فى نفوس الاطفال !

● تلقى مدرس الصف الأول بإحدى المدارس الابتدائية، الواقعة بالقرب من المعسكر الأمريكى ، استدعاء من الشرطة المحلية فى (أستوجى) ، بصدد أمر يتعلق بأحد تلاميذه .. وحين كان فى حجرة الانتظار ، دخل المأمور ، وتبعته سبيدة تتألق عيناها بحيوية طافية أثارت ذهشة المدرس .. وقدمها المأمور اليه قائلاً ، وهو يجلس فى مواجهته : « آسف لأزعاجك .. الأنسة مشرفة اجتماعية ، تهتم بأصلاح الشبيبة فى المدينة .. ولما كان قسم الشرطة التابع لنا قد أنشئ حديثاً ، وليس لدينا قسم خاص بالأحداث ، فقد طلبنا الى الأنسة أن تجيء لمعاونتنا .. وأود أن أخبرك بأن الموضوع الذى استدعيناك من أجله ليس خطيراً ، فلا داعى لأن تقلق ! »

وتدخلت المشرفة قائلة « ان الموضوع كما ذكر السيد
 المأمور ليس خطيرا في حد ذاته . . فان تلميذك لم يرتكب -
 في الواقع - جريمة كبرى . . كل ما هنالك انه قام بأشغال
 النار في حصن قديم ، ولكن بعض المهنات المملوكة للأمريكيين
 كانت مودعة في هذا الحصن ، ونحن بالطبع نشك في ان يكون
 هذا الغلام قد أشعل النار متعمدا . . لابد انه كان يلعب لعبة
 القراصنة ، او أى شيء من هذا القبيل . . غير انه يرفض
 باصرار ان يفتح فمه ، ونحن في حاجة الى أى عذر او تعليل
 نذكره في التحقيق !

وقال المأمور : « اننا لا نريد ان نحتجزه هنا اكثر مما
 احتجزناه ، ولكننا لا نستطيع ان نخلي سبيله ما دام التحقيق
 لم ينته ، ولذلك طلبنا اليك الحضور ، فانت معلمه ، ولابد
 انك تعرف عنه ما يزودنا ببعض المعلومات عن طباعه ، وعن
 حياته العائلية ، وما الى ذلك . . ومن ثم تستطيع ان تكتب
 تقريرا بنتيجة التحقيق ، ونطلق سراحه . »
 فأنحنى المدرس في ادب وقال : « لا يسعنى الا أن أشكر
 لك المشقة التي تتجشمها من أجل هذا الطفل . . فقال
 المأمور : « لتدخل في الموضوع ! »



● وفتحت المشرفة ملفا ، وأخذت تقرا بعض ما جاء
 فيه :

« نارو ترومي . . ستة عشر عاما وشهران . . ولد في
 (سايبان) ، وهو الآن بالفصل الدراسي الثاني من السنة
 الأولى بمدرسة « سان جوزيف » الابتدائية . . ويتمتع
 بمنحة « أدان » الدراسية . . كان والده يعمل خبيرا في
 الارصاد ، لحساب مكتب الادارة الياباني ، وتوفي عام ١٩٤٠ .
 اما امه فكانت موظفة في شركة « نانيو كاهاتو » ، ومن المرجح

انها لقيت مصرعها عند استيلاء الأمريكيين على (سايبان) . . .
ثم وجهت المشرقة الكلام الى المدرس قائلة : « كيف يكون
« ثارو » في مثل هذه السن ، ولا يزال في الصف الاول ؟ . .
انه متأخر . اليس كذلك ؟ »

فقال المدرس : « عند انتهاء الحرب ، ارسل « ثارو » الى
(هاواي) مع مجموعة من الايتام ، والحق باحدى المدارس
الامريكية التي تكاد أن تكون معادلة لمدارسنا الابتدائية . وقد
قضى بها ست سنوات ، جاء بعدها الى اليسانابان ، وسجل
بمدرسة « سان جوزيف » . . وكان من المفروض أن يلتحق
بالصف الخامس ، الا أن معرفته باللغة اليابانية لم تكن
كافية . . »

— ماذا تقصد بمنحة « اذان » ؟

— انها ليست منحة بالمعنى الدقيق . . كان « اذان »
ضابط استعلامات أمريكيا مسئولا عن الأيتام في (سايبان) ،
فاختار منهم خمسة ، تكفل هو شخصيا بنفقات دراستهم ،
بشرط أن يتجهوا فيما بعد الى دراسة علم اللاهوت . .
ولدينا ثلاثة من هؤلاء الأطفال في مدرسة « سان جوزيف » .
— عندما مات والد « ثارو » ، كان الطفل في الرابعة من
عمره . . فالأرجح أنه لا يتذكره . أما أمه ، فهل تستطيع أن
تحدثنا عن أي صنف من النساء كانت ؟

كانت من ذلك الصنف من النساء الذي يمكن أن نسميه
بالنساء المثقفات . . فقد كانت حاصلة على شهادة من جامعة
(طوكيو) ، وكانت مديرة الموظفين بالشركة التي كانت تعمل
بها في (سايبان) . . ولكنها بعد ذلك قامت بإنشاء مركز
للترفيه عن الضباط يسمي « هالو » . . وكانت جبهة
جدا ، بل لعلها مفرطة الجمال . . فكانت النساء يكرهنها !

— وهل كان الطفل يعيش في هذا الوسط ؟

— كلا ، فقد ذكرت لك أن أمه كانت مفرطة الجمال ،
ومن ثم كانت فرصة اللهو والمتعة كثيرة أمامها ، فكانت
مشغولة لدرجة لا تستطيع معها أن تهتم بالطفل . ولذلك
عهدت إلى مبشر في إحدى جزر المحيط الهادى ، كان يعيش
هناك منذ أيام سيطرة الألمان على تلك الجزر !
— إذن ، فالطفل لم يتأثر — أيما تأثير — بالحياة التى
كانت تحياها أمه ؟

— كلا ، بل أنه يجهل تماما بما يمكن أن يعرفه شاب فى
مثل سنه عادة . . . فمثلا هو لم يذهب إلى السينما مطلقا . .
وهو مجتهد فى عمله ، ولكنه يحيى حياة صارمة قاسية ،
إلى درجة تثير قلقى فى بعض الأحيان !
فقلت المشرفة ، وهى تقلب صفحات الملف الخاص
بالغلام :

— جاز ! . . ولكن هل علمت أنه فى الثالث من مايو ،
تنكر فى زى فتاة ، وراح يبيع زهورا فى حى (جينزا) . .
لقد لمحته إحدى زميلاتي ووجهت إليه اندارا . . وهل
تعرف أنه استدرج — فى يوم من الأيام — بعض الجنود
الأمريكيين من أمام باب المعسكر ، واصطحبهم إلى طوكيو . .
ومنذ أيام قليلة ، وجدوه — فى الساعة الثالثة صباحا —
بالقرب من محطة (أبريا) ، على خط قطار (سيجانى) ،
وهو فى أشد حالات السكر . . وكاد أن يذهب قطار الصباح
لولا أنه أنقذ فى آخر لحظة ؟

وسادت — بعد ذلك — لحظة صمت ، لم يكن يقطعها سوى
صفير الرياح التى كانت تعوى خلال الأعشاب الجافة فى
الحقول . .

● ● ●
وما لبثت المشرفة أن قالت ، محاولة أن تخفف من
المدرس :

— انك تعرف الطفل منذ زمن بعيد ، وأنا واثقة من أنك لم تكن تتخيله الا في افضل صورة ، وانه لم يرتكب امامك ابدا ما يضطرك لان تلومه او توبخه .. ولكن من الجائز أن تكون أخلاقه قد تغيرت في المدة الأخيرة .. أصبح يتنكر في صورة فتاة ، ويسكر ، ويلعب لعبة القراصنة ، ويلهو باشعال النار في مكان من المحظور دخوله حظرا تاما .. هذه الأعمال التي تختلف في صورتها ، ولكنها تشكل نهجا واحدا من السوء ، يبدو أنه تعبير عن التمرد على سائر الأوضاع .. أو ربما كان مصابا بخلل نفسي .. ولكن لا بد أن يكون ثمة سببا أساسيا لهذا التحول .. ان الشخصية لا تتحول هكذا بين يوم وليلة ، ومن المحتمل أن تكون هنالك ذكرى مؤلمة تدفعه لأن يتصرف على هذا النحو .. فهل تستطيع أن تمدنا بأي معلومات في هذا الشأن ؟

فقال المدرس ، وهو يهز رأسه : « لست أعلم ان كان الحادث الذي أعرفه سيفيدكم ، ولكنه — بلا شك — قد أثر في « ثارو » تأثيرا شديدا .. فقد حاولت أمه ان تقتله يوما ، وقد عثرنا عليه — أنا و « أدان » — فاقد الوعي تحت إحدى الأشجار ، في هضبة (شيما ليتا) ، وقد التف حبل حول رقبته ثلاث لفات ، وكان يضغط على رقبته ضغطا شديدا ، حتى أننا لقينا مشقة في فكّه وإزالته ، اذ كان مدهونا بالصابون ، ليسهل انزلاقه ! .. ومع أننا أدركنا الدافع وراء هذه الجريمة ، فإنها — من ناحية العقل والضمير — كادت أن تخرجنا عن وعينا . وقد تجشمتنا مشقة كبيرة في إعادة الحياة الى « ثارو » ، حتى لقد كنا في شك كبير من أن الروح ستعود اليه ، ونقلناه في سيارة « جيب » الى المستشفى العسكري ، بعد أن أجرينا له عملية التنفس الصناعي .. في ذلك الحين — كما تعلمون — انتحر ثلاثون ألفا من اليابانيين

المدنيين ، اذ كانوا على ثقة من أن الأمريكيين سيقتلونهم على أي حال ! .. انتحرت عائلات بأسرها بالقنابل اليدوية .. وهناك عائلات أمسك كل فرد من أفرادها بيد الآخر ، والقوا بأنفسهم من فوق الجبال إلى البحر .. ولكن ، في جميع هذه الحالات كانت الجثث توجد مجتمعة .. أما حالة ((ثارو)) ، فهي الوحيدة التي وجد فيها طفل واحد بمفرده ! »

وساد الصمت هنيئة ، ثم قطع المأمور قائلا :

« انها قصة رهيبة ! » .. وأردف - بعد لحظة - قائلا :
« لا بد أن هذا الحادث كان ذا تأثير عميق في نفسية الطفل ! »
وتملل المدرس قليلا في مقعده ، ثم قال : « هل أستطيع أن أراه الآن ؟ .. أود أن أوجه إليه بعض الأسئلة .. وقد خطرت لي فكرة ، قد تهدينا إلى الطريق » .. فقال المأمور :
« بكل تأكيد ! »

وقدته المشرفة إلى باب في الناحية اليسرى ، قائلة له :
« من هنا لو سمحت ! »



● كان « ثارو » جالسا على الأرض ، في غرفة ضيقة مظلمة ، مخصصة للشبان الموضوعين تحت المراقبة ، وكان يتأمل السماء خلال نافذة صغيرة ، كأنها فتحة في قفص عصفور ، وهو يفكر في الأيام الأخيرة التي قضاها في (سايبان) ..

كان الظلام الخافت ، والرطوبة اللزجة ، والسماء المعتمة ، والصمت الشامل ، والأعياء الشديد .. هذه كلها كانت تذكره بمغارة (سايبان) ، منذ سنوات .. حيث كانت البصخور مغطاة بالطحالب ، والظلمة والرطوبة يجثمان طوال النهار والليل .. فلم تكن الشمس تعرف طريقا للمغارة

الا قبيل افولها ، اذ ترسل بصيصا منها فينير جدران المغارة ،
ويكشف وجوه المختبئين فيها !.. كانت هناك فتاة لم يبق
منها سوى الجسد والعظم ، وقد راحت تبحث - بين
الصخور - عن بعض حبات ساقطة من الارز ، فتلتقطها
وتفركها ثم تاكلها واحدة بعد واحدة !.. وكان خلفها جنتى
زائغ العينين ، اخذ يسد رمقه بالعشب البري ، وقد سالت
عصارة خضراء على زاويتي فمه !.. ثم لا يلبث هذا المشهد
ان تغيب في ادراج الظلام ، ويذحف على الكوم يوم آخر ..
وفي احد تلك الايام ، قال « ثارو » في نفسه : « حان
وقت الذهاب لاحضار الماء » .. كان ينتظر هذه اللحظة نافذ
الصبر ، فمنا ان اقام في المغارة وهو يشعر بسعادة غامرة
لوجوده بصحبة امه وقيامه بخدمتها !.. كان ينتظر منها
كلمة ، وقد تعلق عيذه بمحياها الجذاب .. ولم تلبث ان
قالت له : « اذهب لتحضر لى ماء يا ثارو ! » .. كان حين
يسمع صوتها يرتعد حبا وحنينا ، وكان على استعداد لان
يعمل اى شىء من اجلها ..

وكان نبع الماء العذب على مسافة خمسين مترا الى اسفل
المغارة ، فكان لزاما عليه ان يتدلى على طول الصخرة المديبة
كل هذه المسافة ، مما كان يسبب الدوار له ، ولو انه لم
يكن يحمل الا زجاجة فارغة .. فضلا عن ان الجنود
الامريكيين الواقفين فوق الصخرة ، كانوا يطلقون النار على
كل شىء يتحرك !.. ولكن ثارو لم يكن خائفا على الاطلاق ،
ولم يكن مدركا للخطر بآية حال .. وانما كانت السعادة
تفيض في قلبه ، اذ يشعر بان في وسعه ان يقدم الى امه
شربة ماء !

وحدث نفسه قائلا : « كم كان عمرى حينذاك ؟ » ..
ثم راح - وهو يحك رأسه في جدار « الزنزانة » - يتلو عن
ظهر قلب : « ايها العابر ، اذهب وقل للاسيديمون ، اننا

تنفيذا لأوامر الملك ، ننام هنا « !.. وكانت أمه قد لقنته القصيدة ، وجعلته يكررها مرارا حتى حفظها ..
وقالت له أمه : « ان (لاسيديمون) هي (اسبرطة) ..
وقد تصدت حفنة من جنودها - منذ ألفى عام - لجيوش
الفرس واوقفت زحفها ، في مكان يسمى (ترمويولين) ..
وماتوا جميعا في المعركة ، فأقيم - في ذلك المكان - نصب
كتبت عليه هذه الكلمات .. ألم يكن أولئك الاسبرطيون
شجعانا ؟ .. يجب ألا ننساهم ! »



● كانت أمه تحاول - بالأحلام الجميلة - أن تنسيه
قسوة تلك اللحظات الرهيبة .. ولكن الكارثة لم تلبث
أن حلت أخيرا .. وأنه ليتذكر كيف كان الآباء والأبناء كانوا
يتماسكون ، ثم يلقون بأنفسهم من أعلى الجبل متعاقبين ،
أو يربطهم جميعا بحبل متين .. وكانت مياه البحر تتلقاهم
.. وفي كل يوم ، كانت تختفي مجموعات أمام عينيه بهذه
الطريقة !.. وكان ((ثارو)) يتصور أنه سيرتقي في البحر
- في النهاية - وهو ممسك بيد أمه ، ولذلك لم يكن يشعر
بأي خوف أو حزن على الإطلاق !..

وكانت الشمس الأفلة تصبغ السماء بلون وردي فائق ،
في تلك الأمسية الهادئة التي تناولت فيها أمه حبلا ، وطلبت
منه أن يخرج معها من المغارة ، وهي تقول له : « أنك لا تخب
أن أفعلك هذا على مشهد من كل هؤلاء القوم ، فتعال الى
الخارج ! »

وفي تلك اللحظة ، لم يكن « ثارو » يتصور أنه سيموت
بمفرده .. ولكنه حين أدرك أنها تنوى أن تخنقه ، أذعن
لأرادتها ، وسار وراءها حتى أعلى الجبل ، مبديا لها وجهها
مشرقا باسمها .. كي يسعداها !

— ٢ —

● اقبلت المشرفة فقادت « ثارو » الى الغرفة المجاورة ، حيث جلس — على المنصة — المدرس الذى كان يعرفه « ثارو » ورفاقه باسم « سان جان » .
وكان « سان جان » رجلا من (اوكيناوا) ، يعمل مديرا لزراع قصب السكر فى (سايبان) ..
وتقدم منه « ثارو » ، فراح المدرس يعظه بطريقته المعتادة ، التى كانت تبعث على الضيق .. وبينهما كان « ثارو » يصفى اليه ، وهو مطاطيء الرأس ، وقعت عينه الشاردة على المسدس المتدلى من حزام شرطى كان جالسا يكتب ، على منضدة بجوار الجدار .. فقال فى نفسه : « هذا المسدس من نفس النوع ! » .. وقد خطر بباله مسدس كان أحد ضباط البحرية قد سمع له . حين كان فى المفارة — أن يلعب به !

وواصل المدرس لومه : قائلا : « انك تنكرت فى زى فتاة ، ورحت تبيع الزهور فى حي (جينزا) » . فتساءل « ثارو » — فى نفسه — عمن يمكن أن يكون قد أخبر المدرس بهذه الأمور .. أهى المشرفة ؟ أم « توناكو » ، زميله فى الدراسة ، الذى أعاره رداء الفتاة ؟

واستطرد المدرس متسائلا : « انك لا تحب أن تكون عالة على غيرك ، ولذلك فكرت فى أن تكسب عيشك بنفسك ، ليس كذلك ؟ وانى لاحترم نزوعك الى الاستقلال ، ولكن ما الذى يدعوك الى أن تنكر فى زى فتاة ، وتبيع الزهور ؟ »
قال « ثارو » فى نفسه : « اما فى هذه فانك أخطأت ! » ..
لقد ارتدى زى بائعة زهور حقا ، ولكنه لم يكن يبيع زهورا .. ان المدرس لم يكن يدرى شيئا !
كان « ثارو » قد سمع فى (هونولولو) أن أمه تدير حانة

في (جينزا) .. فما ان وصل الى طوكيو حتى بحث عن الحانة .. واهتدى اليها ، ولكن دخول الحانات محظور على الأحداث ، فيما هنا بائعات الزهور وعازفات (الآكورديون) .. والجميع يعرفون ذلك ! .. فما كان من « ثارو » الا ان استعز رداء بائعة زهور ، ولبسه - في أمسية يوم من أيام الأحد - ثم توجه الى الحانة التي كانت أمه تديرها . . ولم يكن بها رواد كثيرون . وكانت أمه منحرفة المزاج ، فما ان رآته حتى صرخت في وجهه في غضب : « يا لك من وقح ! .. كم مرة حاولت ان تدخل هنا ؟ .. ان روادى لا يرغبون في زهورك ! » . وفي مرة أخرى ، أمسكت خادماً بثوبه ، وألقت به الى خارج الحانة .. ومع ذلك عاد ثانية !



● ومضى المدرس (سان جان) في توبيخه قائلاً : « .. وكنت تصحب - في سيارات الأجرة - اناسا ممن يأتون من (كوريا) ، في أيام السبت . وقد جلب عليك هذا العمل شيئاً من المال . ولكننى أشعر بالأسف حين أتصور أنك تستغل معرفتك باللغة الانجليزية في هذه الأغراض الوضيعة ! »

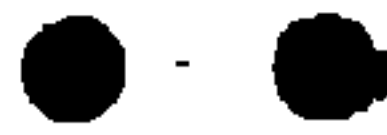
وهنا قال « ثارو » في نفسه : « وهذه المرة ايضاً ، لم تفهم شيئاً يا سان جان ! .. فانا لم أكن أسعى لكسب النقود لنفسى ، وانما رأيت ان رواد الحانة - التي كانت أمى تديرها - قليلون ، فحاولت ان أجيبها بمزيد من الرواد ! لقد أراد ان يساعد أمه دون ان تعلم ، ولكنه ارتكب خطأ جسيماً .. اذهب يوماً الى حانة صغيرة ، بالقرب من معسكر (فيزفام) - الذى يعتبر ملتقى لسائقى سيارات الأجرة - كي يطلب سيارة ، فبادره أحد السائقين قائلاً : « ان صاحبة الحانة التي تتحدث عنها هى أمك ، اليس كذلك ؟ .. »

انك حقا ولد بار جدا ، ولكن هل تعلم ايها الصغير ما تفعله
أمك مع الرجال الذين تذهب بهم اليها ؟ »

واذ سكت « ثارو » ، أردف السائق قائلا : « اذا كنت
لا تعرف ، فسأتيح لك معرفة ذلك ! » .. ثم استدعى سائقا
آخر وأشار له نحو « ثارو » ، وأسر في أذنه كلمات ..

في تلك الليلة ، عاد « ثارو » متأخرا الى عنبر نومه في
مدرسة « سان جان » ، وارتوى فوق سريره وهو يتلوى من
الألم .. ان أمه لم تعد أمه .. انها ليست سوى امرأة ! ..
ولم تعد لديه رغبة في هذه الحياة التي أفاق فجأة ، فوجدتها
بهذا القدر من القسوة والخسة !

واراد ان يموت في تلك الليلة بالذات ، فأخرج من خزانته
كل صور أمه وخطاباتها ، ومزقها وألقى بها في وعاء القمامة
بالمطبخ .. وتطلع حوله خشية أن يكون قد نسي شيئا منها ،
ولكنه لم يكن قد نسي شيئا على الإطلاق .. وحين أدرك أن
كل ما بقي عليه أن يفعله ، هو أن ينام قليلا قبل مرور أول
قطار ، صدم لقصر الفترة التي بقيت له في الحياة ، فانفجر
بأبى !



● واستطرد المدرس « سان جان » ، بلهجة التائب
والإتهام قائلا : « .. ولقد انتقلت من سييء الى أسوأ ..
هذا طبيعي ! .. ويبدو انك كنت تسير مخمورا تماما ، على
طول خط السكة الحديدية . وكان مصرعك وشيك الحدوث
.. ما كنت اظن مطلقا أن من الممكن أن تنحدر الى درجة أن
تشرب الخمر وتسير مخمورا ! »

فقال « ثارو » في نفسه : « هذا صحيح ، ولكنه في نفس
الوقت خطأ ! .. فانا لم أكن قد شربت خمرا ، ولكن من

المحتدل انتهى كنت اترنح كالمخمور ! .. كان الفجر وشيكاً ،
والمصابيح الكهربائية ترسل نورها على طول رصيف المحطة ،
وعلائمة الاشارة مفتوحة ايذاناً بان قطار الصباح لن يلبث ان
يمر بين لحظة وأخرى . . فخلعت سترتي ، وألقيت بها فوق
العشب ، ثم استلقيت منبطحاً بين قضبان السكة الحديدية ،
انتظر ان يمر القطار فوق جسدي . . ولقد مر القطار ، ولكنه
لم يمسنى . وسمعت العامل الذي اخذننى الى ناظر المحطة ،
يقول له : لو كان يرتدى سترة ، لعلقت اطرافها بالقطار ،
وقبضى عليه ، اذ كان ينام بين القضبان . . ولكنه لم يكن
يرتدى الا قميصاً ، وهذا هو الذى انقذه ! »

بيد ان فكرة الموت ظلت تسيطر على « ثارو » . وفى ليلة
من ليالى الخريف ، سرق بعض البترول من المطبخ ، واجتاز
الحقل المتراعى خلف عنبر النوم ، ودخل خندقاً متهدماً . .
ثم سكب البترول فوق جسمه ، وأشعل النار فى اكمامه . .
واكن الاشتعال كان ضعيفاً ، فان البترول الحديث لا يلهب
بسرعة كالبترول القديم . . وصرعان ما اطفأت الرياح اللهب
الضعيف ، فحاول مستميتاً ان يشعل النار - من جديد -
فى اماكن اخرى من ملابسه ، ولكن الاحتراق كان بطيئاً ، وقد
تصاعد دخان لفت الأنظار ، فلم يلبث الناس ان حضروا ،
فوجدوا « ثارو » مختنفاً من الدخان ، وقد فقد وعيه .

وقال له رجل الشرطة : « لماذا أشعلت النار فى مهمات
الجيش الأمريكى ؟ . . سنخلى سبيلك اذا قلت الحقيقة ،
والا فستلقى عقابك ! »

ولم يكن « ثارو » يعرف ان بالخندق مهمات . . فضلا
عن انه لم يفلح فى اشعال النار فى نفسه !

● ووجد نفسه يصرخ فجأة : « اقتلونى ! .. اقتلونى ! »
فصاح سان جان : « أسكت ! » .. ثم نهض وغادر
الغرفة مسرعاً ، كما لو كان قد تأكد أن « ثارو » قد أصيب
بالجنون !

ولم يلبث أن دخل ضابط شاب ، فنزع حزامه وألقاه
— والمسدس في جرابه — على المنضدة ، ثم استلقى وأغمض
عينيه ..

ونظر « ثارو » الى المسدس طويلاً .. وكان الشرطى
الآخر لا يزال منهمكاً فى الكتابة ، على الكتب الملائقة للجدار ،
مولياً ظهره نحوه .. فقال تارو فى نفسه : « هذه هى
الفرصة ! »

وفى حذر اتجه نحو حزام الضابط النسائم ، وأخرج
المسدس من جرابه ، وتحسس زر الأمان ، ثم جذب به الى
الخلف .. ونهض فجأة ، وضغط الزناد ، فإذا بقطع من
الجبس تتطاير من الجدار المقابل !

وقفز الضابط النائم مرسلًا صرخة مدوية ، واختبأ
تحت المكتب . أما الشرطى الآخر ، فقد ألقى بنفسه وراء
المكتب ، وأخرج مسدسه ، وأطلق النار على الصبى الذى كان
يمسك المسدس والدخان يتصاعد من فوهته !

وتهالك « ثارو » نحو الجدار الذى خلفه ، وأطلق زفرة
طويلة ، وقد انبثقت الدروع من عينيه .. ثم سقط على
الأرض !



(بقية المنشور صفحة ١٨)

الا لاضلل الحاكم المستعمر الطاغية ، عساى ان اعيش ايضا ،
وان اخدعه يوما ، وان اتمكن من قتل نفس اخرى من رجاله
مرة اخرى ا . . . وانت . . . انت اصبحت اليوم من رجاله . انت
الذى ضحيت بابيك وامك وخطيبتك ، اصبحت اشد شرا على
بلادك من المستعمر نفسه ا . . . فانت الذى يجب ان استكمل به
اليوم واجب حقلى وثارى وجهادى ! . . لن اطفى الشمعة
حتى تنطفىء حياتك ، فاذهب ، اذهب الآن جثة هامة الى
معبودتك الفاجرة ايفونا !

وسددت ذراعها ، وهمت بان تضغط على السلاح وتقتل
حفيدها . واذ ذاك ارتجت الحجرة ، ودوى فى فضاءها طلق
نارى - لم ينبعث من سلاح ماريا - اصاب كارلو فى صدره ،
والقى به على الأرض صريعا مضرجا يدمه . فذهلت العجوز
وجمدت ، ثم تلفتت مدعورة وحدثت . .

اذ ذاك ابصرت تجاهها ، على حافة النافذة المفتوحة ،
هيكلا ضامرا تعرفه ، هيكلا خطيبة كارلو ، هيكلا الفتاة
البطلة المجاهدة التى خدعها الشاب وفرر بها وانصرف عنها
الى الفاجرة ايفونا . فاندفعت اليها العجوز والسلاح مشر
فى يدها ، وضمت الفتاة الى صدرها وهتفت :

- مرحى ! . . مرحى لك يا جلوريا ! . . لو انك تاخرت
لحظة واحدة لكنت انا التى قتلتك لا انت !

فغمغت الفتاة وهى ترتجف :

- انا لم اقتله لانه خان عهدى ، بل لانه خان وطنى .
ولقد عرف الزعيم بخيائته فاخترنى انا للقضاء عليه !

فصاحت العجوز وهى تدفعها :

- اذن فأسرعى . . أسرعى بالفرار من هنا والا اتهمك

الحاكم بالجريمة ، أو اعتبارك شريكة فيها ، فعوقبت بالموت لا محالة . اتقذى نفسك يا جلوريا . صنونى حياتك من موت رخيص بيد العدو . انت شابة وقوية وبأسلة والمجاهدون فى حاجة اليك . اما انا فأى نفع من حياتى ، وإلى أين يمكن ان اذهب الآن ؟ .. لقد كان فى عزمى ان أقتل الخائن - وهو حفيدى - وأتحمل كل شيء .. ففرى انت اذن بنفسك ودعيني اعترف باتى انا القاتلة وأتحمل وحدى كل شيء !

فلم تعترض الفتاة . ولكنها أجهشت بالبكاء ، ومضت تلثم فى حرارة يد العجوز . فعانقتها ماريا وقبلتها ، ثم دفعتها عنها واستعجلتها .. وظلت واقفة تتبعها النظر ، وهى تعدو مسرعة وسط الحقول ..

ولما اختفت الفتاة ، تحولت العجوز نحو مقعدها ، وتأملت لهب الشمعة الكبيرة لحظة ، وأطفأته .. ثم أرسلت نفسها مستطيلا ، وارتمت على المقعد .. ولبثت هادئة ثابتة ، تنتظر مصيرها !



قصة من أمريكا

ينوع الشباب

للقصص الأمريكية الكبير
ناتاشيل هونتورث



ترجمة : رمسيس فرعون المحامي

.. لو عاد الشباب !

كل فرد لا بد أن يسأل نفسه يوما : « كيف أنصرف لو أتيت لي
أن أعيش عمري مرة أخرى ؟ هل أستفيد من التجارب التي مرت بي ؟ »
انه ولا شك سؤال مثير .. وبوحي من هذا السؤال ، نبعت هذه
القصة .. فهي مبنية حول فكرة « ينبوع الشباب » وأثره في إعادة
الشباب ...

وفي هذه القصة يقدم « هاوثورن » أجوبة قد تثير أعظم الدهشة ،
الا أنها يمكن أن تكون منطقية ومعقولة في الوقت نفسه .

● في إحدى الأمسيات ، دعا الدكتور « هايديجر » أربعة
من معارفه المحترمين ، ليقابلوه في عيادته ... كان ثلاثة منهم
رجالا دب الشيب في شعرهم ، هم مستر « مدبورن » ،
والكولونيل « كليجرو » ، ومستر « جاسكوني » .. أما
رابعتهم ، فكانت عجوزا متصابية ، هي الأرملة « ويشرلي » .
كانوا أربعة مسنين باتسين ... صادفتهم التعاسة في
حياتهم . ولعل أكبر تعاسة صادفتهم ، هي أنهم حتى الآن لم
يذووا في قبورهم ، ليستريحوا من الآلام التي تلاحقهم وتأخذ
بخناقهم !

كان مستر « مدبورن » - في مستهل حياته - تاجرا
ناجحا مرموقا ، ولكنه فقد كل ثروته في مضاربات محسومة ،
وأصبح في حالة لا يحسد عليها .

ولقد أضاع الكولونيل « كليجرو » أفضل سنى عمره ،
كما أضاع صحته وثروته ، في البحث عن الملذات المحرمة ، التي

أدت به إلى كثير من الأمراض المؤلمة - كالتهاب المفاصل والنقرس - فضلا عن الكثير من الآلام الأخرى ، التي سقط صريعها روحا وبدنا . . .

أما مستر « جاسكوني » ، فكان سياسيا محطما . . كان رجلا ذا سمعة سيئة ، أو هكذا كانت شهرته من قبل - على الأقل - حتى محا الزمن اسمه من ذاكرة الجيل الحاضر ، فأصبح مغمورا بعد أن كان مرموقا . . .
هذا عن الرجال المسنين الثلاثة . . .

أما الأرملة « ويشرلي » ، فإن الشائعات تنقل إلينا أنها كانت ملكة تتربع على عرش الجمال أبان ريعان شبابها ، ولكنها أصبحت تعيش - ومنذ أمد طويل - في غمرة النسيان ، بسبب بعض الأقاويل الفاضحة التي تناثرت عنها ، والتي أذت أسماع الطبقة المحترمة في المنطقة .

ومما هو جدير بالذكر ، أن الرجال الثلاثة كانوا قد وقعوا في غرام الأرملة « ويشرلي » - وهي في ريعان شبابها - وبلغ بهم التضاحك من أجل الفوز بقلوبها حد التضارب والعراك ! وقبل أن نوغل في سرد قصتنا ، يهمننا أن نقول أن الدكتور « هايديجر » وضيوفه الأربعة كانوا جميعا يستبد بهم القلق ، ويسيطر على جوانحهم ومشاعرهم ، كما هي حال كل من تقدمت به السن ، سواء كان ذلك ناجما عن متاعب معاصرة ، أو عن ذكريات اليمامة مريرة . . .

● ● ●
وبدا الدكتور « هايديجر » حديثه ، مشيرا إلى ضيوفه بالجلوس : « أيها الأصدقاء الأعزاء . . اننى لفى شديد الحاجة إلى معونتكم في إحدى التجارب ، التي تعلمون اننى أسلى بها نفسى هنا - في عيادتي - بين الفينة والفينة » .
ولقد كانت عيادة الدكتور « هايديجر » مكانا مشريا حقا

.. كانت تتكون من غرفة واحدة مظلمة ، أكل الدهر على الأثاث الموجود بها وشرب ، وعشش العنكبوت في أركانها .. .
وحول الحوائط الكالحة ، كانت ثمة رفوف تعلوها الكتب ،
فملات الرفوف السفلى منها كتب ضخمة تناهت في الضخامة ..
أما الرفوف العليا فكانت تشغلها كتب مكسوة بالجلد
الأسود الموشى بحروف ذهبية .

وفي ركن من قاعة المكتب ، كانت هناك مائدة يعلوها تمثال
نصفى لأبوقراط اله الطب ، كان الدكتور « هايديجر » - كما
تروى الإشاعات - يستشير في جميع الحالات المستعصية التي
يتعرض لبحثها وفحصها .. وفي أشد أركان الغرفة ظلاما ،
كانت ثمة خزانة شامخة ، بدا من أحد مصراعيها هيكل عظمي
يترنح في حركات رتيبة !

ولم يكن يكسو الجدران سوى ستائر قديمة العهد ،
ومرآة يحوطها إطار مذهب بهت طلاؤه .. ومن الأساطير التي
تروى عن هذه المرأة ، أن جميع أرواح مرضى الدكتور
« هايديجر » - الذين انتقلوا الى العالم الآخر - كانوا يعيشون
في إطارها ، ويحملون في وجه الدكتور عندما يتطلع اليها !

وعلى الجانب الآخر من جدران الغرفة ، كانت هناك
صورة - بالحجم الطبيعي - لسيدة في مقتبل الشباب ، في
ثوب باهت من الحرير الغالي المطرز بالساتان .. وكان وجهها
باهتا كثوبها ! .. ولقد كان الدكتور « هايديجر » على أهبة
الزواج من هذه السيدة - منذ حوالي نصف قرن - ولكنها
في فترة اضطرابها ، قبيل الزواج ، ابتلعت قرصا أوصاها به
خطيبها لتهدئة أعصابها ، فاذا به يؤدي الى وفاتها في نفس
ليلة زفافها .

أما أكثر ما كان يبعث على العجب في العيادة - بعد كل
ذلك - فهو كتاب ضخيم مكسو بالجلد الأسود ، وتحيط

بأطرافه مشابك من الفضة الخالصة .. ولم يكن يحمل على ظهره أية حروف ، لا ولم يقدر احد ان يثبتا باسمه ، ولكن .. كان من المعروف انه كتاب عن السحر !

وفي إحدى الأمسيات ، حاولت إحدى الخادمت رفعه ، لكي تزيل التراب من تحته ، فاضطرب الهيكل العظمي في خزانته ، وتقدم خطوة على الأرض الى الأمام ، كما برزت عذة وجوه مخيفة ، أطلت من المرأة ، بينما تجهم التمثال النصفى لأبوقراط ، وهو يصيح : « كفى عن هذا ! »

هكذا كان مظهر عيادة الدكتور « هايديجر » ، حينما اجتمع وضيوفه الأربعة حول مائدة مستديرة في لون الأبنوس الأسود اللامع ، يعلوها اناء للزهور من « الكريستال » الغالى ، ينم عن ذوق رفيع .. وكانت أشعة الشمس الغاربة تتسلل الى الغرفة من بين ثنيات ستاريتين من الحرير الدمشقى الغالى ، لتقع مباشرة على اناء الزهور فينعكس ضوءها على الوجوه المغبرة للأشخاص الخمسة المتفين حول المائدة .. كما كان على المائدة أربع كؤوس فارغة من كؤوس الشمبانيا ! ووجه الدكتور حديثه التي ضيوفه الأربعة قائلاً :

« أيها الأصدقاء الأعزاء ، هل لى ان أعتمد عليكم في القيام بتجربة تنهى في الغرابة ؟ »

● ● ●
والآن ننتقل الى الدكتور « هايديجر » نفسه . كان سيداً متقدماً في السن ، غريب الأطوار ، حتى أصبح شذوذه نواة لعشرات القصص الخيالية التي تحاك حوله .. ولعلنى أنا (الكاتب) ، من أصحاب بعض هذه القصص . فاذا ما هزت قصتى وجدان القارئ ، فانه ليسعدنى أن أساهم في شهرة الدكتور وشذوذه !

واذ استمع ضيوفه الأربعة اليه ، وهو يحدثهم عن تجربته المقترحة ، لم يتوقعوا ان تتجاوز قتل فأر في أنبوبة اختبار ، أو

فحص مجهرى لعنكبوت ، أو إحدى هذه الترهات التى كان دائماً يحب أن يداعب بها أصدقاءه ومريديه ويبهزهم .
ولكنه - دون أن ينتظر رداً منهم - عبر الغرفة فى خطوات سريعة ، وعاد حاملاً المجلد الضخم الكبير ذا الغلاف الأسود ، الذى قلنا أن الأشاعات تصفه بأنه أحد كتب السحر . .
وبعد أن فك المشابك القضيية التى كانت تغلقه ، فتح الكتاب ، والتقط من بين صفحاته وردة . . أو شيئاً كان وردة فى وقت ما ، ولكن أوراقها ذبلت وتغضنت ، فبدأ أنها كانت على وشك التهشم والانحيار بين أصابع الطبيب النحيلة الطويلة . .
قال الطبيب وهو يتنهد :

« هذه الوردة . . هذه الوردة بالذات التى ذوى قصتها ، كانت فى أوج نضارتها منذ خمس وخمسين سنة . . . لقد أعطيتها « سيلفيا وارد » التى ترون صورتها خلفكم فوق الجدار . . وكنت على وشك أن أضعها فى عروة سترتى يوم الزفاف ! . . وهى - منذ ذلك الحين - وهى تقبع بين أوراق هذا المجلد . . . والآن ، هل يوسعكم أن تتصوروا أن من الممكن لهذه الوردة - التى يرجع عهداها إلى هذا الزمن السحيق - أن تستعيد رواءها فى لحظة واحدة ؟ ! »

هنا لم تتمالك الأرملة « ويشيرلى » نفسها ، فصاحت فى حركة عصبية : « كلام فارغ ! . . كأنى بك تريد أن تقول أيضاً ، أن السيدة العجوز المغضنة الوجه يمكن أن تستعيد رونقها ، هى الأخرى ، فى لحظة واحدة ! »

قال الدكتور هايديجر : « أنظروا اذن . . ! »

ثم كشف الغطاء عن اناء الزهور ، وألقى بالوردة الداوية فى الماء الذى كان يملأه . . وفى أول الأمر ، ظلت الوردة ساكنة تطفو على سطح السائل لا تتشرب شيئاً منه . . ولكن أمراً غريباً بدأ يبدو - وفى بطء - بعد لحظات . . فإذا الأوراق

الناوية تستعيد رونقها رويدا ، واخذ العنق المتيسس يسترد اخضراره . . . كما لو كانت الوردة تفيق من حلم طويل عميق ! . . . وان هي الا دقائق معدودات حتى بدأت الوردة في نصارتها التي كانت عليها منذ نصف قرن ، يوم اهدتها « سيلفيا وارد » الى خطيبها لأول مرة ، وقد بدت بعض نقط الماء تلمع على اوراقها كاللؤلؤ فوق القطيفة الحمراء .

وصاح اصدقاء الطبيب بدون اكترات ، اذ كانوا قد شاهدوا - من قبل - معجزات اكبر واعظم ، في عروض قام بها بعض الحواة « انها ولا شك خدعة باهرة ! . . بريك كيف قمت بها ؟ »

اجاب الطبيب : « ألم تسمعوا ابدا عن ينبوع الشباب ، الذي حاول المغامر الاسباني « بونس دي ليون » البحث عنه ، منذ قرنين من الزمن او يزيد ؟ »
فتساءلت الأرملة ويشرلى : « ولكن هل استطاع بونس دي ليون العثور عليه ؟ »

- كلا . . . لانه لم يبحث عنه ابدا ، في مكانه الحقيقي . فان ينبوع الشباب - اذا كان ما وصل الى علمي عنه صحيحا - يقع في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة (فلوريدا) ، ويتوارى منبعه في غابات كثيفة من اشجار (الماثوليا) الضخمة ، التي لا تزال - برغم مرور السنين الطويلة - يانة كزهور البنفسج ، بفضل مياه هذا ينبوع . . . ولما كان أحد اصدقائي يعرف تضلعي في مثل هذه المسائل ، فقد ارسل لي خصيصا هذا القدر من المياه الذي ترونه في اناء الزهور !
وتساءل الكولونيل « كليجرو » ، وهو لا يصدق كلمة واحدة من قصة الدكتور : « وماذا يمكن أن يكون أثر هذا السائل على الجسم الانساني ؟ »

فاجاب الدكتور هايدنجر : « سوف تحسكم بنفسك يا صديقي الكولونيل ! . . اذ انكم - ايها الاصدقاء المحترمين

— مدعوون الى أن تتناولوا من هذا السائل قدر ما تستطيعون لكي يعيد اليكم نضارة الشباب . . . اما انا فقد عانيت كثيرا في دنياي حتى وصلت الى سن الشيخوخة ، فلم أعد متلهفنا للرجوع مرة اخرى الى سن الشباب ! . . لذلك فكل ما سافعله هو أن أرقب مدى نجاح هذه التجربة اذا سمحتم لي بذلك ! »



● **واخذ الدكتور « هايديجر »** يملأ كؤوس الشمبانيا من ماء ينبوع الشباب ، وهو يتكلم . . . وبدأ الماء فوارا ، لأن بعض الفقاقيع اخذت تطفو من القاع الى وجه الماء ، على شكل حبيبات فضية لامعة . . . بينما انتشر في الجو شدي رائحة طيبة ، مما جعل المسنين الأربعة لا يشكون برهة في أن يكن لهذا السائل مفعول غريب ولا بد ، فحشهم هذا على أن يمدوا أيديهم بسرعة الى الكؤوس ليجرعوا ما بها . ولكن الدكتور « هايديجر » أوما اليهم بيده أن يترشوا برهة ، وهو يقول : « عليكم قبل أن تشربوا ، أن تقدروا ما انتم مقدمون عليه ، مسترشدين في ذلك بخبرة حياة كاملة ! . . ماذا ينبغي أن تفعلوا اذا ما رجعتم مرة اخرى الى سنى شبابكم وسط مخاطر الحياة الحالية ؟ . . تصوروا كم يكون الأمر مشينا ، اذا لم تصبحوا نماذج للفضائل ، وعنوانا للحكمة ، ومثالا يجب أن يحتذيه جميع شباب عصرنا الحاضر ! »

وظل أصدقاء الطبيب لا يحIRON جوابا . . . كانت كل لهفتهم تتجه الى شرب المياه بأسرع ما يمكنهم ، ليقتنصوا كل دقيقة من الوقت . . . فكل دقيقة تنقضي ، باتت في نظرهم عبثا وهباء ؟

وقال الدكتور ، وهو يشير الى الإناء : « اشربوا اذن ،

فأنا على ثقة الآن من أننى قد اخترت من يناسب تيماما
هو ضوع تجربتى !»

وبأيد مرتعشة — موزعة بين التردد واللهفة — رفعوا
الكؤوس الى أفواههم ، وقد بدوا وكأنهم لم يروا شسبابا أو
متعة فى حياتهم كلها . . . بل كأنهم ولدوا مسنين ، فهم يتطلعون
الى أن يعرفوا ما تنهى الى سادهم عن متع الدنيا وزخرفها
.. وبعد أن أفرغوا كؤوسهم ، أعادوها الى المسائدة وظلوا
يترقبون !

وسرعان ما لوحظ تطور غريب على وجوه الجماعة . . . لم
يكن تطورا كذلك الذى يحدث عقب شرب زجاجة من الخمر
المعتقة ، ولكن . . . كأنما كان ثمة ضوء وهاج. أثار وجوههم
فجأة . . . وظهرت لمحة من الصحة تكسو وجوههم وتمحو
عنها تلك الجهامة الكابية التى كانت تبديها كوجوه الموتى ! . .
وأخذوا يحملون فى وجوه بعضهم بعضا ، وهم يخالون أن
معجزة حلت لشمس أحزانهم ، وتزيل آلامهم التى أضغاثها
الزمن على جباههم وملامحهم !

وأخذت الأرملة « ويشرلى » تعدل من وضع قبعتها ، اذ
شعرت بأنها عادت ناضرة الاتوثة مرة أخرى ، وقالت :
« ناولنا المزيد من هذه المياه العجيبة ! . . اننا الآن أصغر مما
كنا ، ولكننا لا نزال كبار السن . . بسرعة ، بسرعة . . ناولنا
المزيد !»

ورد الدكتور « هايديجر » ، الذى ظل صامتا طوئ
الوقت ، يرقب التجربة فى رزانة الفلاسفة : « صبرا ، صبرا !
.. لقد وصلتكم الى السن التى كنتم عليها بعد عمر طويل . .
ولن ينتقص من اغتباطكم أن تستغرق عودتكم الى الشسباب
نصف السباعة فقط ! . . وعلى أى حال ، فالسواء تحت
تصرفكم . . !»

وعاد يملأ الكؤوس من مشروب الشباب . وبقي في اناء
الزهور من الماء ما يكفي لأن يحول نصف سكان المدينة من
الشيخوخة الى اعمار احفادهم !



● وفي حركة بادية الانفعال لا جذب الأربعة كؤوسهم من
على المائدة ، وأفرغوها في حلقوقهم دفعة واحدة .. ترى هل
كان الأمر خداعا ؟ لقد كان الشراب - وهو ينساب في
حلقوقهم - يبدو وكأنه يسجل أثرا على كل كيانهم .. اذ
بدأت عيونهم تلمع وتفيض بنظرة أكثر رقة وشبابا ..
وجلسوا حول المائدة : ثلاثة رجال في أوسط العمر ، وسيدة
تكاد تكون في ربيع الحياة !

وصاح الكولونيل « كليجرو » ، وعيناه مثبتتان على
وجهها ، الذي بدأت مظاهر الشيخوخة تبارحه كما يتسلل
الظلام عندما يغزوه نور الفجر : « سيدتى ، كم أنت فاتنة ! »
ولكن السيدة الفاتنة كانت تعلم - بخبرتها القديمة -
أن أقوال الكولونيل « كليجرو » لا تتسم دائما بطابع الصدق
المنبعث من القلب ..

لذلك فقد جرت الى المرأة تستشيرها ، وهى تخشى أن
يطالها على صفحتها وجه العجوز الشيمطاء التى تعلو
وجنتيها آثار السنين الخوالى ..

وأخذ الرجال الثلاث يتصرفون بما أوحى بأن لماء
ينبوع الشباب هذا الأثر الناجح فعلا .. ففيما عذا الدوار
الخفيف الذى أحسوا به - نتيجة ارتدادهم فجأة عشرات
السنوات الى الوراء - أخذ الشباب ومرح الشباب وطيشه
يسيطر على كل تصرفاتهم ! ..

وانطلق لسان مستر « جاسكونى » يتشدد بالموضوعات
السياسية ، ولكن .. هل تتصل هذه الموضوعات بالأحوال

السياسية في الماضي ، أو هي تتصل بالحاضر ، أو المستقبل ؟ . . كان من الصعب إدراك هذا ، إذ كان كل ما أنساب منه من عبارات ، هو عين ما اعتادوا أن يرددوا خلال الخمسين عاما الأخيرة ! . . فراح مستر « جليسون » يتحدث عن الوطنية ، والمجد القومي ، وحقوق الشعب . . وكان يتحدث بصوت منخفض - أحيانا - حتى لا يسمعه ضمهه ، ويرفع من صوته - أحيانا أخرى - في نبرة مهيبة ، كما لو أن أذنا ملكية كانت تستمع إليه ، وقد تكافئه عن أقواله بمنصب وزارى !

أما الكولونيل « كليجرو » فقد راح يردد - طيلة هذا الوقت - نشيدا جرييا حماسيا ، ويدق بكأسه على المائدة في « سيمفونية » تتجاوب مع النشيد ! . . بينما كانت عيناه معلقتين بوجه الأرملة « ويشرلى » ، الذى رجع تماما - في تلك الأثناء - الى مقبل الشباب . .

وفي الجانب الآخر من المائدة ، كان المستر « ميدبورن » منهمكا في حساب الدولارات التى ستعود عليه من مشروع اعترم القيام به ، وهو تسير قافلة من الحيتان والأسماك البحرية الكبيرة ، لتنقل الثاوج من الجبال الجليدية بالمحيطات ، الى بلاد الهند الشرقية الحارة . .

وظلت الأرملة « ويشرلى » تعلق مشدوها في صورتها المنعكسة على المرآة ، وهى ترحب بها ، وكأنها كانت ترى - بعد طول فراق - صديقا قديما أحبته أكثر من أى شيء آخر في حياتها . . وأخذت ترداد بوجهها قربا من المرآة ، لترى ما إذا كان أى ظل للتجمعات باقيا . . وما إذا كان الشيب قد زال تماما من شعرها ! . . وأخيرا ، دارت في حدة - وقد اطمأنت تماما - لتعود في خطوات راقصة الى

المائدة ، وهتفت : « يا عزيزى الدكتور .. بربك امنحنى كأسا أخرى ! »
رد الدكتور مجاملا « طبعاً يا عزيزتى .. انظرنى ، لقد ملأت الكؤوس فعلاً ! »

● وكانت الكؤوس الأربع تمتلئة فعلاً حتى حافتها بالسائل العجيب الفواز ، الذى كانت خبيباته مواطبة على الارتفاع من أسفل الكؤوس حتى أعلاها ، كحبات اللؤلؤ .. وبدأ الفسق ينشر ألويته ، ولكن نورا خافتا ظل ينبعث من اناء الزهور ، وينعكس على وجوه الضيوف الأربعة ووجه مضيفهم الطبيب المحترم ، الذى ظل جالسا فى مقعده العالى ، يطل فى كبرياء الرجل الوقور على ضيوفه الأربعة وهم يتصرفون كما لو كانوا فى ريعان الشباب ! .. فلقد ظلوا - حتى تناولوا الكؤوس للمرة الثالثة - ينظرون فى احترام الى التعبير الرزين الذى كان يتراءى على وجهه .. ولكن ، ما أن سرى ماء الكأس الثالثة فى عروقهم ، حتى أصبحوا فى مرح المراهقين وطيشهم ! .. وبدأ لهم العصر الطويل - بهمومه وأحزانه وآلامه وأمراضه - قد انحسر ، كما لو كان ذكرى بغيضة الى نفوسهم ، أو شتات حلم مزعج أفاقوا منه ! .. فلقد أحسوا بأنهم ولدوا من جديد .. فى دنيا جديدة !

وراحوا يرددون : « لقد عدنا الى الشباب ! عدنا الى الشباب ! .. »

وأصبحوا - وقد زال عنهم كل أثر لرزانة الشيخوخة ووقارها - مجموعة من الشباب ، تحكم تصرفاتهم جميعا حماقات المراهقين . وتحول حديثهم الى سخرية لاذعة من الشيخوخة التى كانوا - فترة ما - فرائس لها .. وأخذوا

يضحكون من ملابسهم التي عفا الزمن على طرازها ، ومن قبعاتهم العريضة الغريبة ، ومن القفازين القديمين الغريب المظهر ، اللذين ارتدتهما السيدة الفاتنة التي كانت تجلس أمامهم ! .. وأخذ أحدهم يقلد عجوزا يعرج ، وهو يسير على عكازين وهميين .. ووضع الآخر نظارته على قصة أنفه ، كما يفعل المسنون ، وهو ينكب على كتاب السحر الضخم ، وكأنه يجد صعوبة في قراءته ! .. بينما اتكا الثالث في مقعد واسع ، يحاول أن يقلد رزانة الدكتور « هايديجر » ووقاره .. ثم أخذ الجميع يصيحون ويفنون بأعلى صوتهم وهم يقفزون في الغرفة !

أما الأرملة « ويشرلى » - إذا حق لنا أن نسمى آنسة في مثل هذا الجمال والسن بالأرملة - فقد خطت في استحياء ماكر نحو المقعد الذي جلس عليه الدكتور ، وقالت تداعبه : « يا أحب الناس الى قلبي .. أليس لك في رقصة مهي ؟ ! »

وهنا علا ضحك بقية الشبان ، وهم يتخيلون مدى الجهد والعناء الذي يتحمله الدكتور الشيخ ، إذا هو رقص مع هذه الأنسة الشابة !

ولكن الدكتور أجاب في هدوء : « أرجو معذرتك يا سيدتى ، فأنا كبير السن ، ولم أرقص منذ عهد بعيد ، ولكن أيا من هؤلاء الشبان المرحين ، سيسعده - ولا شك - أن يحظى بالرقص معك ! » .. وهنا هتف الكولونيل كليجرو « تعالى أرقصى معى يا كلارا ! » .. ولكن المستر جاسكوني صاح في وجهه معترضا : « كلا .. كلا .. أنا الذى سأزاملها في هذه الرقصة ! » .. فتدخل المستر مدبورا قائلا : « بل أنا الذى سيقص معها ، لأنها وعدتني بالزواج منذ خمسين سنة ! »

● والتفوا جميعا حولها : واحد يشدها من كلتي يديها في انفعال ، والاخر يلف خصرها بذراعه ، والثالث يجوس بأصابعه خلال جدائل شعرها الذهبية .. وهى تحاول - فى تمنع ودلال - أن تفلت من بين أيديهم ، وصدرها الناهد يعلو ويهبط .. ولكن دون أن تبذل من جانبها أية محاولة جدية فى اصطناع ذلك ! كم كان جميلا منظر هذه المنايسة التى كانت جائزتها وجها باسماء فائنا فى مقتبل الشباب ! .. ولكن المراة الخبيثة لم تعكس هذه الصورة الجميلة ، بل ظلت تعكس صورهم فى شكل ثلاثة شيوخ متهاكين ، فى ملابس قديمة الطراز ، تماذا الأخاديد وجوههم ، وقد راحوا يتنازعون فيما بينهم - بصورة غير مستساغة - عجوزا شمطاء ، عفا عليها الزمن فتركها جلدا على عظم !

ولكنهم كانوا شبابا .. كانت عواطفهم الملتببة تؤكد لهم ذلك ! .. وعندما اثارهم دلال الفتاة - التى بينهم - الى حد الجنون ، اخذوا يتبادلون فيما بينهم نظرات غاضبة . ثم انقلبت هذه النظرات الى أن أمسكوا برقاب بعضهم البعض . وبينما هم يتلاحمون فى غضب ، انقلبت المائدة بما عليها ، وهوى اناء الزهور الفالى ، فتهشم الى آلاف القطع .. ويجرى الماء الثمين لامعا على أرض الغرفة ، معيدا الشباب الى جناحى فراشة عجوز ، كانت ترقد فى اسنلام على أرض الغرفة ، وتهىء نفسها للموت .. فما كاد الماء يلمسها حتى انتفضت ، وانطلقت تطير لتستقر على رأس الدكتور « هايدجر » ، الذى تخلله الشعر الأبيض . وهتف الدكتور : « كلا كلا ، أيها السادة ! .. كلا كلا ، يا مدام ويشرلى ! .. الآن يحق لى أن احتج على هذه الفوضى الضارية ! » .

ووقفوا صامتين لا يبدون حراكا ، اذ بدا واضحا ان الزمن الصاتى بدأ يدعوهم الى العودة من رحلة شبابهم المشوقة ، الى وادى الشيخوخة مرة اخرى !.. واخذوا ينظرون الى الدكتور « هايدجر » ، الذى جلس فى مقعده الواسع حاملا الزهرة التى بلغ عمرها خمسين سنة ، والتى أستطاع انقاذها بين أشلاء الاناء المحطم . وبإشارة وقور من يده ، عاد الأربعة الطائشون الى مقاعدهم طواعية ، اذ ان الشجار أنك قواهم رغم شبابهم .. الظاهرى !

واخذ الدكتور ينساجى زهرته : « يا لزهرة سيلفيا المسكينة ! انها بدأت تذبل من جديد !.. »

وهذا ما كان يحدث فعلا !.. فقد أخذت الزهرة فى التفضن - والجميع يحملقون فيها - حتى أصبحت جافة ، هشة كما كانت ساعة أن ألقى بها الدكتور فى الاناء ، قبل فترة وجيزة !

وقال الدكتور ، وهو يقرب الزهرة لتلامس شفثيه : « اننى أحبها هكذا ، أكثر مما أجبتها فى أوج نضارتها ! » .



● وبينما كان يتكلم ، طارت الفراشة من فوق رأسه ، وحومت مترنحة ، ثم سقطت على الأرض جثة هامدة .. وبدأت قشعريرة باردة تسرى فى أوصال الرجال والمرأة . أتراها كانت تسرى فى أرواحهم .. أو فى أبدانهم ؟.. هذا ما لم يستطيعوا أن يقطعوا به !.. واخذوا يحملقون فى بعضهم البعض ، ويحسون بأن كل دقيقة تمر عبر الزمن ، تسلبهم متعة وشبابا ، وتحضر أخذودا جديدا فى وجوههم !.. ترى هل كان الأمر كله وهما ؟.. هل كان من الممكن أن تحدث كل هذه التغيرات المذهلة ، فى مثل هذه

الفترة الوجيزة ، ثم يعودوا من جديد أربسة ضيوف مسنين ، يجلسون مع صديقهم القديم دكتور (هايديجر) ؟ .. وتساءلوا في حزن : « هل عدنا مسنين مرة أخرى ؟ .. الحقيقة المريرة ، انهم أصبحوا كذلك ! .. فقد كان مفعول ماء الشباب سريع الزوال كالخمر ! .. وتبخرت النشوة - التي خلقها - كالققايع التي تملؤه ! .. نعم ، لقد عادوا مسنين مرة أخرى !

وبدافع لا شعورى ، رفعت الأرملة « ويشرلى » يديها - التي تهدل الجلد حولهما - أمام عينيها مرة أخرى ، وتمنت لو أن هذين اليدين كفتا دفينتين تحت التراب منذ زمن ، فهذا أرحم من استردادهما الجمال لدقائق ، ثم عودتهما الى قبح الشيخوخة !

ووجه اليهم الدكتور حديثه قائلا : « نعم أيها الأصدقاء .. لقد أصبحتم مسنين مرة أخرى .. ولقد سكبتكم - للأسف الشديد - كل ما تبقى من ماء الشباب فى عبثكم الأرض ! .. وأنا شخصيا غير آسف لذلك ، فاني لم أفكر لحظة واحدة أن أبال شفتى بهذا الماء .. حتى لو كانت نشوته تستمر لعدة سنوات ، وليس للحظات معدودات ! .. هذا هو الدرس الذى علمتمونى اياه بتجربتكم الوجيزة ! » ولكن ضيوف الطبيب الاربعة لم يتعلموا شيئا من هذا الدرس ! .. بل انهم وطنوا العزم على أن يحجوا الى (فلوريدا) ، لكى يجرعوا - كل صباح ومساء - من ماء ينبوع الشباب ! .. وكان أشدهم حماسا لهذه الفكرة .. الأرملة « ويشرلى » !

قصة من قيثنام

الجسر المعالي!

للكتّاب المعاصر
توي آن هونغ دان



ترجمة : ح ١٠

..... كلهم في العدوان على الأمنين سواء !
 اذا كانت الكاتبة الانجليزية « ايثيل مين » قد استطاعت أن
 تنقل لنا صورة راحة لأساة. فرار أهل القرى الفلسطينية الوادعة من
 ارباب الصهيونيين ووحشيتهم - في الاربعينات من هذا القرن -
 فان الكاتب الفيتنامي « ثوي آن هوانج دان » يرسم لنا - في
 القصة التي نقدمها على الصفحات التالية - صورة لا تقل روعة
 واثارة للمشاعر الانسانية ، لفرار أهل القرى الفيتنامية السالة ، من
 وحشية الامريكيين ، في الستينات من القرن ..

● كانت طلقات النيران قد اقتربت من جميع الجهات
 .. وفجأة ، اقترنت بها انفجارات عنيفة تصم الآذان ، ولا
 يعلم غير الله مصدرها !
 ولم يجد الذين لم يكونوا قد رحلوا بعد - من سكان قرية
 (انجين) - وقتا للتفكير أو الجدل .. فسرعان ما أصبح
 صخب فرارهم الجنوني يتردد في جميع الطرق المفضية الى
 خارج القرية الصغيرة ، والرعب والكرب يثقلان صراخهم :
 « لقد أصبحنا في قلب النار ! .. لقد زحفت الينا الجبهة ! »
 واندفع بعض الذين سمعوا آخر الأنباء - عند مدخل
 القرية - يسعون الى بيوتهم ، ليحملوا منها كل ما تصل اليه
 أيديهم . وبقي بعض منهم في المؤخرة ، ليساعدوا المسنين ،
 ويحملوا الأطفال .. وكدست النساء فوق ظهورهن ما كانت
 تضمه بيوتهن الفقيرة من أمتعة ، بينما حمل الرجال على
 أكتافهم أدوات الزراعة وآلاتها .. وراح الجميع يتدافعون -
 في عجلة - فرارا من القرية المهددة ، دون أن تكون لدى واحد

منهم فكرة محددة ، عن الوجهة التي يتخذها .. فكانوا ينضمون - بلا وعى أو ارادة - لاكتف الجماعات الهاربة التي تصادفهم ، دون أن يفسحوا لأنفسهم فرصة ليسألوا : من أى نواحي الجبهة ينبعث ضجيج المعركة ؟ .. وإلى أية مسافة من القرية وصل المحاربون ؟ .. كان كل هم القرويين أن ينطلقوا في فرارهم مسرعين ، لاهثين ، حاملين أبناءهم وزادهم وأمتعتهم !

وبدا أن الطلقات كانت تنبعث من كل ناحية ، وفي وقت واحد ، تصحبها جلبة وسائل النقل ، التي كانت تتناهى إلى أسماع القرويين ، فكانوا يحسون بها - أكثر مما يسمعونها - إذ كانت تزلزل الأرض تحت أقدامهم ! .. وفي تدافعهم واضطرابهم ، كان بعضهم يسقط فوق بعض ، وكان الأزواج يفتشقون عن زوجاتهم ، والأمهات ينفصلن عن أولادهن .. فتتصاعد النداءات لاهثة ملهوفة .. وكلما قطعوا شوطا ، انضم إليهم فريق جديد ، يضاعف زعرهم بما يحمل من أنباء : - لقد بلغوا الجسر ! .. انهم قادمون من طريق (دان أجرين) ! .. لديهم مصفحات ! .. انهم يطلقون النار على القرية ! وتأكيذا لهذا الخبر الأخير ، مرقت فوق رؤوس النازحين - وهم مصطفون على ضفة النهر - دفعات من القنابل القاصفة ، فانبطحوا جميعا .. وأرسلت النسوة عاصفة من الصراخ والعويل :

- لقد أحاطوا بنا ! .. لقد حوصرنا ! .. يجب أن نغير النهر ، فهذه هي فرصتنا الوحيدة للنجاة !



● وفي حركة واحدة ، اندفع المهاجرون نحو حافة النهر ، وقد تركوا مناجلهم وأدواتهم وما كان يضايقهم حملة

من حزم .. والكهول منهم يثنون ، والأطفال يكون .. ومن
أحدى النساء ، انطلقت صرخة مرتاعة ، فارتفع صوت رجل
يقول : ((اغلقن أفواهكن يا نسوة ! .. انهم اذا سمعونا
فسوف يقصفوننا بالقنابل ، فيمزقوننا اربا !))

وازاء هذا التحذير كتم الكهول اناتهم ، وأخذت الامهات
يسكتن أبناءهن ويلصقن راحاتهن بأفواههم !
وعلى طريق الجسر ، أخذت ضوضاء المصفحات تدنو ،
مختلطة بطلقات الرصاص ، تعزف موسيقى الموت .. واستمر
الضجيج الرهيب في الاقتراب .

ولكن الذين بلغوا ضفة النهر - أسفل طريق الجسر -
لم يلبثوا أن هداوا ، وكأنهم ايقنوا من أنهم بلغوا - في النهاية
- مأوى آمنا .. وعادوا يلتقطون ادواتهم وامتعتهم التي
كانوا قد القوها أرضا . وأسرع الأقوياء من الرجال الى
قواربهم المستديرة - الشبيهة بالسلال - فشرعوا ينقلون
الهاربين ، ويجدفون بكل ما أوتوا من قوة !

وفي لحظة وجيزة ، كانت القوارب قد غصت بالشيوخ
والنسوة اللاتي حملن أطفالهن على اكتافهن .. اما الشبان ،
فاندفعوا الى الماء ، يعبرون النهر سباحة . وأفرد القارب
الآخر للأمتعة التي لم يلتقطها أصحابها ..

واذ أصبحت القوارب في عرض النهر - وهي تتمايل
باضطراب ينذر بالخطر - أخذ العابرون يرتجفون خوفا ، اذ
فطنوا الى أنهم أصبحوا في مساحة مكشوفة ، مما يجعلهم
هدفا سهلا للقنابل .. ولم يجرؤ أحد على الالتفات نحو القرية
الصغيرة ، والشاطئ الذي وقف عنده من لم تتسع لهم
القوارب ، ينتظرون دورهم في العبور ، وهم نهب للرعب ،
خشية أن يصيبهم العدو ، قبل أن تعود اليهم القوارب ..

ولكن المجدفين راحوا يجدفون في استبسال مستميت ،
فعدت القوارب مرات .. وعندما تمت آخر رحلة عبر النهر ،
وتم نقل جميع الأمتعة الى الضفة الأخرى ، استرد الهاربون
هدوءهم ، وانبطحوا على الأرض ، يرسلون أبصارهم نحو
القرية التي هجروها !

● كانت سماء القرية تتوارى في سحب من دخان
أسود ، تمزقه - من حين لآخر ، السن اللهب ! .. وأخذت
أعمدة الدخان والسن اللهب تتمازج وتتلوى كالأفاعى المذمورة
.. وامتدت الحرائق من أحد أطراف القرية ، حتى بلغت
المباني الرئيسية فيها ، ثم تشعبت فانتشرت في كافة الأنحاء ،
واجتاح الدخان كل شيء .. والرياح تحمل الرماد الى الضفة
النهر ، ثم عبره الى الضفة الأخرى ، لتصفع به وجوه الهاربين
الذين التصقوا بالأرض في ألم وذهول ، وقد سمرتهم اليها
فجائية الأحداث والدمار ..

ومسح أحد الرجال وجهه الذي كساه الرماد ، ثم أخذ
بصرخ ، وهو يحدق في يده : « انظروا ! .. ثمار كل تلك
السنين من الجهد والعناء ، تتلاشى في الدخان .. أهذا مصير
العمل الدائب والحرمان ؟ .. يا الهى ! »

وسمع كل امرئ هذه الحسرة ، فكانما كانت اشارة
بدء ، اذ أخذت الدموع تسيل من العيون .. وافلتت من
الرجال زفرات أسى .

ولكن أحد المبرزين في القرية ، صاح بصوت قوى : « ان
المصيبة مصيبة الوطن بأسره ، فلا تعتقدوا أن منازلكم
وقريتكم هي التي أحرقت فحسب ! »

وبينما هو يتكلم ، صرخ أحد الموجودين : « انظروا ! ..
هناك رجل على الشاطئ .. ومعه ثوز ! »

واتجهت الأبصار جميعا الى الضفة المقابلة .. كان هناك رجل حقا ، لاح خلال الدخان ، وهو يقود ثورا ، ويسير في خط متعرج ، وكأنه كان يحاول تفسادى الضربات التى كان يوجهها اليه خصم متوار عن الأنظار . وعرف القرويون الرجل .. كان « ترونج به » ، وثوره .. وراحوا ينادونه ، ويحيطون افواههم براحتهم ، حتى تتضخم اصواتهم وتبلغ الشاطئ الآخر للنهر . ولكن .. اكان من الممكن ان يسمع نداءاتهم وسط ضجيج القنابل والمفرقات والمصفحات وطققة الأخشاب وأعواد الغاب المشتعلة ؟

ولوح « ترونج به » بيده ، ثم شد الحبل ليقود الثور الى منحدر يقضى الى حافة النهر .. ولكنه ما لبث أن غير اتجاهه فجأة ، ولاح أنه اراد ان يحتوى خلف جسم الحيوان .. وفجأة ، انزل يديه والصقهما ببطنه ، بينما انتفض الثور جامحا ، وافلت وانطلق مترنحا ، وكأنه أصيب هو الآخر .. وايقظ هذا المشهد الدعر فى القرويين من جديد ، وقد تبينوا ان الخطر يلاحقهم . وانطلقوا يجرون على غير هدى ، مندفعين نحو مزارع الارز التى جفت لطول ما هجرها أصحابها !



● من خلال أحراش الغاب ، تراءت - أخيرا - منازل سمراء وحمراء .. تلك كانت طلائع منازل قرية (تكون) ، وقد بدت - بمتانة بنيانها - بمثابة ميناء أو مرفأ يلوذون به من الموت الذى كان يلاحقهم من ضفة النهر الأخرى ! واخذوا يركضون الى (تكون) بأقصى ما وسعهم من سرعة ، وقد تهدجت أنفاسهم ، وانصب عرقهم انصبابا .. وكان القادرون ياخذون بأيدي المسنين ، ويجرون وراءهم الاطفال .. ولكنهم - بعد أن عبروا نحو اثنتى عشرة مرعة - فوجئوا بجماعة أخرى من الهارين تبرز من دغل الى يمينهم ..

وخيل اليهم أنهم ينظرون الى صورتهم في مرآة : كان الآخرون مثلهم ، جمهرة من الناس ، مثقلين بالأدوات والحزم ، يفرون مرتجفين والموت في أعقابهم .. فمن الجانب الآخر للدغل ، كان ثمة خط من النيران ، تنطلق من ورائه القنابل كثيفة مركزة !

وصاح شخص ما : « انها عملية تطويق ، فهم على جانبي النهر ! .. كيف السبيل الى النجاة ! »

لقد أدرك الهاربون أنهم وقعوا بين نارين ، بعد أن ظنوا أنهم قد بلغوا ملجأ آمينا ، في قرية منعزلة عن المعركة !

— كيف السبيل الى النجاة ؟ !

وجمدوا في أماكنهم ، لا يدرون الى أين يذهبون .. واخذت حلقة النيران تضيق من حولهم في كل لحظة .. وازداد ارتفاع قصف المدافع ، وهى تقترب من ناحية (تكون) ! وانبعثت من الفريق الآخر — من الفارين — صيحات التحذير : — اتبعونا ، فنحن على دراية بكل الطرق ! .. اننا نيم شطر (بين دا) ، لنختبئ في الجبال !

وعادوا الى الجرى ، يحاولون اللحاق بالجماعة الثانية !



● اخذت حدة الشمس تخف فوق مزارع الارز ، وهدأت حرارة الهواء .. ولم يجرؤ احد من القرويين على التوقف ، بالرغم مما اصابهم من ارهاق : بل ان احدا لم يعد يحفل بانين الشيوخ . وعويل النسوة والأطفال .. واستمر الجميع في هرولتهم خلال السهل المقفر ، المترامى .. وزاد الطين بلة ، ان اخذت السحب المنخفضة تتكاثف .. ثم تساقط المطر مصحوبا ببرد قارس ! .. ولكن ، ماذا بهم من المطر والبرد ؟ .. لم يكن القوم يفكرون الا فيما بقى من مسافة بينهم وبين الملاذ الامين .. واذا كان الذين قدموا من (نجين)

يجهلون موقع (بين دا) ، فقد كانوا يسألون العارفين ،
فيجيبهم هؤلاء :

— لا تزال المسافة بعيدة .. هناك جسر معلق في الفضاء ،
فوق مجرى مائي .. عندما تجتازونه ، تكونون قد وصلتكم
الى مقاطعة (بين دا) !

وما لبث الجسر الصغير ان لاح — خلال ستار المطر
وضباب المساء — وكأنه يطفو في الهواء ، وعوارضه الرقيقة ،
المصنوعة من الغاب ، تتأرجح وسط الرياح بشدة تنذر
بالخطر .. والليل يهبط مسرعا ، والسماء محجوبة بسحب
سوداء كثيفة ، ينعكس عليها وهج النيران .. فكأنما السماء
حلق وحشي خرافي مرعب ، ينبعث منه دخان ولهب !

واذ ازدادت معالم الجسر وضوحا ، ابتسم بعض
الهاربين ، وقد اخذت الطمأنينة تخالجهم .. كان قصف
القنابل لا يزال مركزا ، وانفجاراتها بعد قريبة ، ولكنهم
شعروا بأنهم زابلوا نطاق الخطر .. وراح بعض المسنين
يلهجون بالدعوات ، وعيونهم معلقة بالجسر المتأخم للحدود !



● على أن الحيرة عاودت القوم ، عند ما بلغوا الجسر
المعلق ! .. لم يكن مجرى الماء واسعا ، ولكنه كان بالغ العمق
.. وكان التيار سريعا وقويا ، والمسافة بين أسفل الجسر
وسطح الماء لا تتجاوز الشبر . ولم يثر بنيان الجسر عجب
أحد : كان مكونا من سيقان من الغاب طويلة — بعرض المجرى
مربوطة من الطرفين ، ومرتكزة فوق مجموعات أخرى من
الغاب ، كل وحدة تتألف من ساقين على شكل صليب ،
غرس في المياه لتكون دعائم . وكان ثمة سياج من الغاب
المضغوط اقيم على جانبي الجسر ، ليتكىء عليه العابرون .

وفي غمرة القلق ، انبعثت نوائح الهاربين وتساؤلاتهم :
 - الآن .. لم يبق الا ان نجتاز الجسر !
 - نعم ، هذا امر يسير على الشباب .. ولكن ، ما شأن
 الشيوخ والأطفال ؟ .. وكيف تنقل الأمتعة فوق الجسر ؟
 وسأل أعيان قرية (نجين) زملاءهم من قرية (نكون) :
 - اما من طريق آخر لعبور النهر ؟ .. ليس بوسعنا ان
 نظل هنا جميعا ، في انتظار ان يعبر القوم النهر واحدا واحدا ،
 فوق هذا الجسر الضعيف !

وفجأة ، وقع انفجار رهيب وراء القوم ، على مسافة
 مائة متر تقريبا ، فقطع الحوار ، ونثر الوحل على رؤوس
 الهاربين . وتوالت الانفجارات ! .. ولعل المدافع كانت تطلق
 قنابلها جزافا من الشاطئ الآخر ، ولكن الهاربين ظنوا ان
 العدو يصوب قذائفه عليهم ، فاستبد بهم النعر ، وعلا
 صراخهم ، وغاص بعضهم في الماء يحاولون اجتياز المجرى
 سباحة ، وتدافع بعض آخر نحو الجسر ، فأخذ يهتز بعنف
 تحت ثقلهم ..

وبقيت قلة ضئيلة احتفظ أفرادها برباطة جأشهم ،
 وراحوا يحاولون اقرار قسط من النظام ، ويرفعون أصواتهم
 وسط الصخب والضجيج : « اعبروا الجسر فرادى ! ..
 واحدا واحدا ، ولا تثقلوه ، والا غرقتم جميعا ! »
 ولعل هذه التحذيرات كانت تذهب دون تأثير ، لو أن
 دفعة أخرى من القنابل تبعث الأولى ! .. ولكن القنابل
 انقطعت .. غير أن الجسر كان مبعث خطر لا يقل عن خطر
 المقدوفات ، اذ أخذ يهتز بشدة تحت الخطوات الملهوفة ،
 وكأنه وشيك الانهيار .. وما كان انهياره - في المياه السريعة
 الجريان - ليثير دهشة أو عجبا ازاء التزاحم المضطرب !

● وبعد أن عبر الجسر عدد من الأفراد ، تقدمت اليه عجوز حملت على كتفها عصا طويلة من الخشب ، علقت في طرفيها سلتيين . وكان الليل قد لف المكان ، فلم ير الرجل - الذي كان خلف العجوز - شيئاً من محتويات السلتيين ، ومن جذب الحبل الذي علقتا به ، وقال للمرأة :

- ارمى هذا في النهر ! .. انك تكونين سعيدة الحظ لو استطعت العبور وحده ، دون أن تثقلى الجسر بالسلتيين !
وتشبثت المرأة بالسلتيين في اصرار ، وقد رابها قول الرجل الذي لم تكن تعرفه .. وكأنما اثاره اصرارها ، فهز السلتيين بخشونة ، واذا بصراخ طفل ينبعث من احدهما .. فصاح : « ماذا تحملين فيهما ؟ »

ورأى المحيطون بهما طفلاً - في حوالى الثالثة أو الرابعة من عمره - منكشفاً في احدى السلتيين .. بينما استغرق في النوم - في السلة الثانية - وليد صغير !

- يا لله ! .. كيف تريدان عبوز الجسر بهذين الولدين ؟
واجابته السيدة في جفاء : « سأفعل .. لقد عبرت - من قبل - جسوراً أسوأ حالا ، بأحمال أثقل ! »

واخذ القوم يرقبون المرأة - بانفعال بالغ - وهى تتقدم ببطء فوق أعواد الغاب ، تحت ستار المطر الدقيق ، الذى تخله ضوء القمر الشاحب .. كانت محاولتها ضرباً من المجازفة ! .. وقال بعض الحاضرين لأنفسهم ، وهم يفكرون الاحتمالات ، ان نجاحها فى بلوغ الشاطئ الآخر بسلام - اذا

قصة من الكونغو

خطرة محكمة ولكن..!

للكتاب البلجيكي: "فيردات"



..... خطة محكمة ، ولكن ... ؟!

كان قويا ، متين البنية ، بالرغم من انه لم يكن صغير السن ..
ولقد عاش ، وناضل ، واحتمل كثيرا من الحرمان ، في العمل في
مناجم افريقيا .. وعند ما آن له ان ينعم بثمار جهوده - الطيبة منها
والشريرة على السواء - ظهر شاب يهدد أمنه ومستقبله ، ويسعى
لحرمانه - في الوقت ذاته - من زوجته الشابة الحسنة . فماذا
يفعل ... ؟

هذا ما تكشفه لك القصة التي يقدمها « كتابي » على الصفحات
التالية .. قصة تصور ابداع تصوير خفايا النفس البشرية ، كما
تصور - اوضح تصوير - ما كان يفعله الاجانب في القارة التي كانوا
يسمونها : القارة المظلمة !

● لم يكن ثمة غير شعاع واحد من الضوء ، ينبعث من
احدى النوافذ ، في كتلة الظلام التي لفت مكاتب « شركة
معادن كيماش المساهمة » .. وكان صرير الحصى - المنتثر
في الممر - تحت وقع اقدام « آنسون » ، يعكز صفو اللحن
الذي كان يصدر عن « الجوقة » الليلية للصراصير البرية !
كانت الساعة تناهز الثامنة مساء .. ولم يثر دهشة
آنسون « ما بدا له من نشاط « سامي » أمين المخزن -
وهو شاب خلاسى يختلط في عروقه الدماء البيضاء والزنجية
اذ يبدو ان شعوره بالقدر الضئيل من الدماء البيضاء -
التي كانت تجري في عروقه - غرس في ذهنه الرغبة في ان
يكون ممتازا ومتميزا عن سائر المستخدمين الملونين ، الذين
كانت بلادتهم الواضحة تسود مكاتب « شركة معادن كيماش
المساهمة » .

وتذكر « آنسون » - كما يفعل الكثيرون حين يسترجعون ذكريات شبابهم من قبيل اللهو والتسلية - أنه ظل فترة طويلة يعتقد أنه والد « سامى » ! .. أما الآن ، فقد كف عن هذا الاعتقاد ، كلا .. لم يكن هو والده ! .. لقد كانت معرفته بالنساء الوطنيات ، كافية لأن تصرفه عن هذا الوهم !



● ودفع « آنسون » الباب الزجاجى - الذى كان يعكس على المر ضوءا خافتا - فنهض « سامى » واقفا .. كان على الدوام يبدو موزعا بين الولاء المفرط ، وبين صلف الزنوج .. وكان « آنسون » يتساءل أحيانا عما اذا كان هذا الصلف - الذى لا يكاد يبدو - كان يستمد جذوره من ذلك الاعتقاد بأبوته الموهومة .. ثم تمت لنفسه : « ليكن ! .. اذا كان هذا الاعتقاد يسره ، فليتشبث به ، ولكن .. على أن يحتفظ لنفسه ! »

وبانحناءة تدلل أخيرة ، أعاد « سامى » اغلاق الباب خلفه .. ودلف « آنسون » الى مكتبه ، دون أن يوقد المصباح .. كان ضوء القمر يضى من النور ما يكفى لانجاز ما كان يعتزم أن يفعل .. وكان التعب قد أضناه ، فجلس متاثلا فى المقعد الوثير ، بعيدا عن بساط النور الفيروزى الذى كان القمر ينشره تحت النافذة الوحيدة .. وأغمض عينيه ، غافلا عن سحر الليل الأفريقى .. رحماك يا رب ! لكم هو مرهق ! .. ثلاثون عاما فى أفريقيا ، لا تتخلها الا بضعة شهور - التقطها من وقت لآخر - لقضاء اجازة سريعة فى أوروبا .. ولا يزال هناك احتمال قضاء عشرة أعوام أخرى ، فى هذه الاصقاع !

وتضاحك في مرارة ، وهو يقول لنفسه : « انك لتوهم نفسك يا « آنسون » .. لم يعد ثمة عشرة أعوام .. لم يعد ثمة عام واحد ، ولا حتى ستة أشهر ! .. « أنهم » سيطيحون بك قبل ذلك .. سيثمون رائحة السر قبل ذلك ! .. « انه » سيشم رائحة السر ، بأنفه الصغير القدر ، انف الدخيل ، الوصولي .. « ابن الذوات » ! .. ثم ماذا ؟ .. بتقرير سريع ، بل بغير تقرير .. تكفى بضع كلمات ، وبضع أرقام ، في خطابه القادم الى « بابا » ! .. وبعد ذلك ، يتفصح الطريق أمامه ليحتل مقعدك الوثير ! »
وراح « آنسون » يستعرض حياته الوظيفية .. سنوات التنقيب عن المعادن .. والتقدم البطيء المنهك داخل الأدغال .. لحظات الأمل العابرة .. الاكتشافات التافهة بعد شهور ، بل بعد سنوات من العمل المضنى بلا جدوى ... والملايا .. واليأس !



● كان « آنسون » قد جاء الى (الكونغو) بعد وفاة امه ، ليلحق بأبيه الذى كان يعمل في التنقيب عن المعادن في افريقيا . ثم توفي الأب ، فواصل هو التنقيب لحسابه الخاص ، ولكن سنوات الأزمة الطاحنة هي التي قضت على استقلاله .. وقد شعر بسعادة عظيمة ، حين وجد عملا في « شركة معادن كيماش » ، التي أنشأها - في ذلك الوقت - بعض المتفائلين من رجال المال .. وكان هو (آنسون) الذي حقق للشركة ما بلغت من نجاح ، فهل يكون هذا هو جزاؤه ؟ .. كانوا قد عينوه مديرا بطبيعة الحال ، ولم يكن مرتبه ضئيلا ، ولكنه مع ذلك لم يكن يوازي ما يستحق ..
« ان سياسة الشركة تستهدف الاقتصاد ، يا سيد

آنسون « ! .. هكذا اعتاد أن يقول والد هذا الفتى « أورين سميث » .. هذا الأبله الذى ...

لم يكن من المستغرب - بعد هذا - أن يحاول « آنسون » أن يقطع لنفسه جزءاً من كل هذا الذهب الذى كان يملأ به أيدي أعضاء مجلس الإدارة .. ولم يكن هذا بالامر العسير ، فقد كانوا جميعاً يولونه ثقتهم ، ولا يفتأون يقولون عنه : « السيد آنسون النزيه ! » .. ثم أن هذه البقعة - التى كان مقراً لعمله - كانت تخلو من كل ما يمكن أن يجتذب مفتشى الحسابات ومن على شاكلتهم من الخبراء !

كان بوسعه - منذ الآن - أن يستغنى عن تلك المكافأة الضئيلة التى كان يمنحها « أورين سميث » - فى شح وتقتير - لمن يسمونهم بالمندوبين السامين للشركة .. وقد كان هو الذى يقوم - فى نهاية كل أربعة أشهر - بالاشراف على نقل شحنة الذهب المستخرج ، الى محطة السكة الحديدية التى تودى الى ميناء (سيموس) .. وكان يجرص على أن ينتخب للحراسة أشهر المشاغبين من الجنود الوطنيين .. وكان فى كل شحنة ، ودائماً ، صندوق كتبت عليه كلمة « آلات » ، يرسل الى عنوان معين فى (سيموس) ، حيث يودع بصفة أمانة . ولما كان « آنسون » يتولى بنفسه تحرير الوثائق ، فقد كان يستطيع - بغير ما مشقة - أن يجعل كل شيء يبدو صحيحاً .. فلم يكن يعوزه الا عملية تزيف بسيطة فى احصائيات الانتاج وفى ارقام الحسابات ، ليكون فى مأمن من كل خطر .. بشرط الا يعقب ذلك عملية مراجعة جادة !

ولكن .. ها هم أولاء يرسلون اليه « أورين سميث - الابن » ، ليقوم بالاطلاع على سير العمل فى المشروعات التى كان مقراً أن يتولى ادارتها فيما بعد .. ومما زاد الطين بلة ، أن هذا الابن كان يقوم بعمله بطريقة جادة !

● انطلقت من بين شفتى « آنسون » بضغ شتائم بصوت خافت .. لقد نجح حتى اليوم فى اقضاء « اورين سميث » عن الجانب الادارى من العمل ، ولكن .. كان لابد لذلك من نهاية .. « وهم » قد المحوا له صباح اليوم - فى ادب ، ولكن فى حزم - بأن السيد « اورين سميث - الابن » يهتم فعلا بالجانب الفنى للعمل ، ولكن استعداداته وميوله الشخصية تجعله اكثر اتجاها الى الاهتمام بالجانب الادارى .. ومن ثم فانه اعتزم - فور انتهاء العطلة الأسبوعية - القيام بفحص دقيق للحسابات والاعمال الادارية بصفة عامة .

كان « آنسون » يعلم ان هذا لابد ان يحدث فى يوم من الأيام .. ولكنه لم يكن يتوقع ان يحدث ، قبل ان يقرر هو ذلك .. لم يكن يتوقع ان يحدث ، قبل ان يتمكن من ان يجعل بضعة آلاف من الكيلومترات تفصل بينه وبين العدالة فى المستعمرة .. وبعد ان يتم ذلك ، وبعد ان يجمع أمواله وينقلها ، سيقولها عالية : ((الوداع !)) ..

ولقد كانت قوانين تسليم المجرمين غير معروفة كثيرا فى أمريكا اللاتينية ، فيما يقال .. فضلا عن انه بوسع أى امرئ ان يستبدل باسمه اسما جديدا ، ما دام فى يديه مال وها هى ذى الخطة الرائعة تبوء بالفشل ..

لقد أخذوه على غرة ، قبل الأوان .. قبل الأوان بكثير .. وحتى لو حاول ان يهرب الآن ، فلن يجد تحت يده من المال ما يكفى لأن يتيح له النجاة بنفسه .. وأخذ يلعن الحيلة الحمقاء التى دفعتة الى ان يضم كل أمواله فى الخارج .. وربما كان فى وسعه ان يتصرف ، لو انه كان بمفرده ، ولكن .. كانت هناك « واندأ » !

كان قد تذكر فجأة - اجازته الأخيرة - انه بلغ الخامسة

والأربعين من العمر ، ففكر في الزواج ، حين رآها .. حين رأى « واندأ » ! .. وكانت خيرته بالنساء - ولا سيما الأوربيات مشهن - ضئيلة ، فبنت له الفتاة أنسب اثني له .. صحيح أن عمرها كان - عندئذ - يقل عن عمره عشرين عاما ، ولكن لا حرج .. فقد كان قوى البنية بالنسبة لسنه ، وما كان يمكن لأحد أن يقدر عمره بأكثر من أربعين عاما .. ولقد غازلها ، ثم تزوجها قبل عودته الى أفريقيا بخمسة عشر يوما .. وسرعان ما توالى الأيام والشهور ، فاذا ثلاثة أعوام تنقضى منذ ذلك الحين !

وما كان يدري - حين تزوج « واندأ » - أن كان يحبها حقيقة . ولكنه أصبح لا يتصور الحياة بدونها ! .. وأصابته قصة في حلقه .. أنه لا يستطيع أبدا أن يفقدها ، مهما يكن الثمن ! .. لا ، لا ينبغي أن يفقدها أبدا !

● ● ● وخالجه شعور جديد ، لم يكن قد اتضح له في هذه اللحظة .. أنها لم يتح لها أن تعاشر طوال هذه السنوات الثلاث الا موظفى « شركة معادن كيماش » ، وقلما كان يحدث أن تلتقى بهم ، وكان أغلبهم - على أى حال - قرويين لم يكادوا يتعدون مرحلة الطفولة ، أو شيوخا محطمين ! .. لذلك فإن وصول هذا الشاب أيقظ في نفسه - لأول مرة - الشعور بالغيرة .. ولقد حاول « أورين سميث » - منذ أول وهلة - أن يغازل « واندأ » . وكانت هى - في بادئ الأمر - تصده ، ولكنها لم تلبث بعد ذلك أن تخاذلت ، وأن كانت لم ترفع الكلفة بينها وبينه !

ولم ترق لاتسوس هذه اللعبة كثيرا ، بل أنها أثارت حفيظته ضد ذلك الدخيل .. بعد هذا كله ، وعند النقطة التى وصلت اليها ، ما الذى

يدعوه الى ان يتراجع ؟ .. لا بد له من ان يمضى فى تنفيذ خطته ، وان يفعل ذلك بمهارة ، وان يتجنب - وبأى ثمن - اثاره شك « سميث » .. ان امامه الليل بطوله ليعد ضربته ، كما ان امامه نهار الاحد كذلك ! .. لا بد ان يضع كل شيء فى موضعه الصحيح ، حتى لا يرتكب اية حماقة .. فان اقل خطأ قد يودى الى الهلاك !

ومهما يكن ، فان أسوأ ما يمكن ان يحدث - بعد احتراق السجلات .. فى غير تعمد ظاهر - هو ان توجه اليه تهمة الإهمال ، وان يحال الى المعاش قبل الاوان ! .. فهو لن يترك أى دليل يشي به .. أما الفسكوك .. يا الهى ، انها لا يمكن ان تحوم أبدا حوله !



● وما ان اتخذ قراره ، حتى بدا يفكر فى خطته بطريقة جادة .. لا داعى للعجلة ، فهو لن يفعل شيئا هذا المساء ، ومن ثم فأمامه فترة ما بعد ظهيرة اليوم التال كلها . لا ، ليس هذا المساء .. عليه ان يتجنب اثاره الشك فى نفس « أورين سميث » ، بقيامه بنشاط غير عادى . ان مباراة فى « الجولف » مع العدو - قبل المعركة - لشيء رائع ! .. شيء مريح للأعصاب ! .. ولقد أعاد هذا الى ذهنه أول خطة وضعها لانقاذ موقفه . كانت خطة خطيرة جدا .. فضلا عن انها تتضمن .. حياة بشرية !

ذلك ان رؤوس الجبال - التى تطل على وديان (كاربوبو) الضيقة - تعلو الشلال بعشرين مترا ، ومن بينها رأس صخرى ، يبدو كأنما أعد خصيصا ليكون مريضا للاستطلاع .. وهناك ، يمكنه التظاهر بالاعياء ، أو التعب المفاجيء ، فيتهالك قائلا : « فى مثل بنى يا سيد سميث ، وبعد ثلاثين عاما فى افريقيا ، هل لى ان أسألك بضع دقائق

للكتاب البلجيكي : « فيردان »
للراحة أمام هذا المنظر الرائع ؟ .. شكرا ، شكرا جزيلًا ..
هل تسمح لي ؟

وتمر لحظة .. وقد يظنان يلهثان قليلا .. ولا يلبث أن
يقول : « هل لك في شراب مرطب لا ضرر منه ؟ .. زجاجة
كوكاكولا ؟ .. عظيم ! .. يا غلام ، اذهب واحضر لنا من
النادي زجاجتين من الكوكاكولا ! »

والآن ، رحل الشاهد الوحيد لبضع دقائق ، فالنادي
على مسافة تتجاوز خمسمائة متر ، خلف ثور في الجبل ..
ثم ، دفعة بسيطة .. يا للسماء ! يا للشباب المسكين ! ..
لا أمل في النجاة ، فإن الهوة سحيقة ، يصل عمقها إلى عشرين
مترا ، وفي أسفلها الصخور ، والماء - والشباب لا يجيد
السباحة .. يا للمسكين ! يا للشباب المسكين .. كم كان
لطيفا !

ولكن ، كلا ، يا للشيطان ! .. هذه مجازفة تنطوي على
أخطار أكثر مما يجب ! .. ان الخطة محكمة بالتأكيد ، وتخلو
من أية ثغرة ، ولكن .. ما الذي يجري بعد ذلك ؟ .. سيأتي
« أورين سميث - الأب » مسرعا .. وبعد لحظات من الراحة
يقضيها في إبداء الألام الأبوى الشريف اللائق ، لا يلبث أن
يقول : « يا سيد آنسون .. ان العمل هو انجح دواء لهم
.. هو وحسده السبيل الى النسيان ! .. فلننظر كيف
سارت أعمالنا هذا العام ؟ .. اننى افضل ان احبس نفسي
معك بضعة أيام ، حتى أكون لنفسي فكرة عن نتائج الستة
المالية الجارية .. هيا ، هات لي دفاترك لو سمحت ! ..
لا تنسى دفاتر السنوات الماضية ، حتى تتسني لي وسيلة
للمقارنة ! »

يا للعجز الخبيث الرهيب !

وارتعد آنسون .. كلا .. لن يكون القتل مهربا ! ..

يكفى حريق بسيط .. نار نشعلها علامة على الفرح ،
كما يفعل فتیان الكشافة .. لا ضير في هذا ، وسيكون البرد
القارس تفسيراً كافياً للمدفأة التي تركها « السيد آنسون
الطيب » موقدة ، عندما غادر الشركة .. كان المسكين
مرهقا ، فقد قضى ساعات الليل ساهرا في جمع كل الوثائق
التي طلبها السيد « أورين سميث » .. وهذا القط الغبي ،
الذي اجتذبه الدفء ، ولا توجد غير أشلائه المحترقة ، هو
بلا شك الذي قلب المدفأة فوق البساط ! .. وستكون
التعليقات مترفقة زحيمة : « حقا ان ذلك لمن سوء الحظ ،
ولكن لا توجد خسائر في الأرواح ، هذا هو المهم ! .. ونتعشم
الا يوجه الى « آنسون » المسكين أى لوم جارح ، فهو
سيبلغ سن الاحالة الى المعاش قريبا .. وبالمناسبة ، من
الذي سيخلفه في ظنكم ؟ »

● تنحج « آنسون » تعبيرا عن الرضى .. ولكن ، كلا
بالتأكيد .. ليس هذا المساء ، فهو مرهق جدا .. بيد ان
سهرة الغد كفيلة على أية حال - بأن تتيح له وقتا كافيا
لتدبير الامر .. ثم ان المستخدمين من أبناء البلاد يكونون -
مساء الأحد - منهكين ، أثر احتسائهم الخمر طوال يومين
متوالين ، وهذا مما يمنع مغفلا مثل « سامى » من ان يأتى
الى مكاتب الشركة ، فينتبه الى الخطر وينثر به قبل الأوان !
وتطلع الى الساعة المضيئة ، التي كانت تحيط بمعصمه :
لم تكن قد تعدت التاسعة والنصف .. وبدا له الوقت طويلا
جدا .. بقيت أربع وعشرين ساعة !

واستوثق - قبل انصرافه - من أن المدفأة الكهربائية
كانت تؤدي عملها بشكل طبيعي .. ان كل شيء سيسير على
ما يرام .. كان متأكدا من ذلك !

وفي الخارج ، لدعته برودة الليل ، فأسرع الخطى . . .
ستندهش « واندأ » إذ تراه يعود مبكرا هكذا ، إذ كان قد
أخبرها بالألا تنتظره ، لأنه لن يعود قبل منتصف الليل . . .
واقترب من البيت ، فادهشه أن رأى الظلام والسكون
يسودان كل شيء . . . وتسال عبر المر المفضى الى المخل
الرئيسى ، فاصطدم بسيارة كان نصفها يختفى بين دغابين ،
فلا سبيل الى رؤيتها من الخارج . . . كانت سيارة « أورين
سميث » . . . ماذا فى الأمر بحق الشيطان ؟ !

ومكث فترة طويلة جامدا ، لا يتحرك ، وقد بدا له أن
عقله قد تعطل تماما ، فعجز عن التفكير . . . حتى أخرجته
من غيبوبته حركة خفيفة ، صدرت عن الباب وهو ينفرج
قليلا ، فتراجع متسللا الى جوف مجموعة من شجيرات
الزهور . . . وفى ضوء القمر ، رأى « واندأ » و « أورين
سميث » يخرجان من المنزل صامتين ، ويتجهان صوب
السيارة . . . وغابا عن ناظره لحظة ، ثم لم يلبث صوتهما أن
تناهى اليه فجأة ، فى وضوح تام :

— انصرف الآن . . . اننى خائفة . . . لو رجع « وليم » . . . !

— لا خطر على الاطلاق ، هيا بنا ! . . . ألم يخبرك بأنه

لن يعود قبل منتصف الليل ؟

— لا يا حبيبى ، انصرف ! . . . فى مساء الفد ، نستطيع

أن نفل ما يروى لنا ، دون ما خطر . . . اذهب ! أرجوك ! . . .

لم يعد علينا أن ننتظر لأكثر من أربع وعشرين ساعة ، ثم

يلتئم شملنا الى الأبد ! . . . لا ينبغي أن نخاطر . . . سيكون

الأمر رهيبا ، لو خالجه أى شك !

وهنا ساد صمت طويل . . . لأبد أنهما كانا يتماثلان . . .

وقاوم « آنسون » رغبة مفاجئة فى أن يندفع نحوهما . . .

ومرة أخرى ، سمع صوت زوجته وهى تقول « اذهب الآن

يا حبيبى ! « .. ثم سمع محرك السيارة يدور ، وسرعان ما انطلقت السيارة بعيدا ، حتى لم يعد يبدو منها سوى بصيص من النور الأحمر فى حلقة الظلام ..



● الله وحده يعلم كم من الوقت مكث « آنسون » فى ذلك المكان ، منكمش فى جوف الدغل .
وراح يحدث نفسه ، وهو مذهول :

« واندأ حبيبتي ؟ ! .. غير معقول ، لا بد اننى أحلم ! .. لا بد اننى أحلم ، ولن ألبث أن استيقظ ! .. أنت مرهق آنسون .. انها الملاريا ، انه كابوس الحمى .. اننى اكرهك يا « واندأ » ! .. اكرهك ؟ ! .. كلا ، لا أستطيع .. بل أكرهه هو : هو .. الوغد الصغير القذر .. ماذا كانت تعنى بقولها بعد أربع وعشرين ساعة ؟ لم يعد أمامنا أن ننتظر أكثر من أربع وعشرين ساعة ؟ .. أتراها سترحل معه ؟ تهجرنى من أجل هذا الولد ؟ هذا الوغد الطائش ؟ أولى بها أن تقتل .. ولكن كلا ، بل هو الذى يقتل ! »

وارتدت الى ذهن « آنسون » الخطة التى كان قد دبرها .. خطة بسيطة ، هى النموذج الرائع للجريمة الكاملة ؟ .. جريمة بدون دافع ، وبدون فاعل ، وبدون شاهد ! .. دفعة بسيطة ، بحركة ودية تقريبا .. بالابهام لا أكثر ! .. وهمس لنفسه : « وبعد ذلك ، لا أهمية للمخاطر ؟ .. فلأفقد كل شيء ، ولا أفقد واندأ ! »

وفجأة ارتعدت فرائصه .. كان البرد قد أصابه دون أن يدرى .. وكان النور الذى أضىء فى إحدى الحجرات قد أطفئ ، وسيطر النعاس على مظهر المنزل .. وتسلسل « آنسون » كاللص خلال باب « الجراج » ، كي يتجنب السير فوق الحصى .. لم يكن يريد أن يرى « واندأ » هذا المساء ، فهو لن يستطيع أن يتحملها ! ..

● واستيقظ عند الفجر ، بعد أن قضى ليلته مستلقيا على أحد المقاعد ، وكابوس مروع يقلق نومه .. وكانت الساعة السادسة صباحا . وبكل ما استطاع من هدوء ، تسال الى الحمام .. وجرح نفسه مرتين وهو يحلق ذقنه ، ولكنه كظم حنقه .. « اياك يا آنسون واضطراب الأعصاب ! .. أنك ستحتاج الى كل ما لديك من رباطة جاش ! » .. وافاده حمام فاتر ، وأكمل انتعاشه قدح من القهوة .. وكانت معدته خاوية ، ولكنه لم يستطع أن يأكل شيئا ، وإنما مزج قهوته بكأس كبيرة من « الروم » ، مما أشاع فيه حيوية ودفا .. وشعر بأنه أصبح مستعدا للعمل ! وبينما هو بهم بالخروج ، سمع صوت سنيارة تتوقف امام المنزل ، فتوقف قلبه عن النبض لحظة ، وشعر بتقلص يعتصر معدته .. يا الهى ! لو أن دخيلا ثقيلا ..

ولكنه أحس بروحه ترتد اليه ، حين سمع صوت « أورين سميث » يناديه .. لقد كانت السماء تساعده بالتاكيد ، فها هو ذا الغبي قد جاء الى الفخ بقدميه !
— هاللو يا سيد آنسون ! .. لقد فكرت في أن مباراة صباحية في الجولف ..

— ان الطقس بديع ، كعهده دائما في هذا الفصل من العام .. نعم ، بكل سرور .. طبعاً ، بكل سرور ! وتظاهر بالخرج وهو يحضر قبعته وصيديريته الصوفية ، ويتمتم معتسداً : « سيكون من العسير أن نعثر في هذه الساعة — على صبي لجمع الكرات .. سأستدعى ابن خادمي .. ولنضع مضاربنا في حقيبة واحدة ! »

ووافق « أورين سميث » ، وهو شارد الفكر .. كان كل شيء يبدو على ما يرام .. وكانت حلقات اللعب خالية من الرواد .. ولم تستطع الدقائق الاولى من التمرين

أن تكسب « آنسون » لياقته البدنية ، فكان يخطيء المرة بعد الأخرى ، حتى اضطر أن يتخلى عن الحفرات الثلاث الأولى في الملعب لمنافسه الشاب ، وهو يعتذر قائلا : « أشعر بأننى لست فى كامل لياقتى هذا الصباح .. »

وكانا يتجهان معا ناحية الحفرة الرابعة ، عند قمة الجبل التى فوق الشلال .. فأجاب أورين سميث : « وأنا نفسى لست على ما يرام .. لسوف ندفا وننشط أثناء اللعب ! » .. وقذف الكرة فانطلقت فى مسارها الصحيح وسقطت على بعد بضعة أمتار من قمة الجبل ، التى كانت تشد انتباه « آنسون » ..

ولم يلبث « آنسون » - حين قذف بالكرة بدوره - أن فشل فى تسديد ضربته ، فلم تبتعد الكرة سوى بضعة أمتار .. أما ضربته الثانية ، فقد أجاد تصويبها بحساب دقيق ، ومن ثم استقرت كرتة بالقرب من كرة خصمه .. واتجها معا ناحية حافة القمة المطلة على البحر ، وقد أصبح الأمر الآن سهلا للغاية .. لعبة أطفال ! وحين وصلا الى كرتيهما ، استجمع « آنسون » كل طاقته ، فقد حانت اللحظة الحاسمة .. وسبقه « أورين سميث » قائلا :

- ما رايك فى أن تتناول هنا شرابا مرطبا ، قبل استئناف اللعب ؟ .. هذا من شأنه أن يريح أعصابنا ، وربما تحسن مستوى لعبنا بعد ذلك !

- كنت على وشك أن أقترح عليك هذا .. ماذا تحب أن تشرب ؟ كوكاكولا ؟ .. يا غلام ، اذهب واحضر لنا من النادى زجاجتين من الكوكاكولا !
واختفى الولد بين الأشجار ..

- آه يا سيد سميث ، ما أروع هذه المناظر .. انها تنسيك وطأة ثلاثين عاما فى أفريقيا .. فى التراب ، فى الوحل

والملايا .. انظر الى الطبيعة ، وهذه الصخور ، وبخار
المياه الناصع البياض ، الذى يتصاعد فيختلط بالسحب ،
وسط زرقة السماء !

كانت اللحظة الحاسمة قد أوشكت .. فهاتما قد
أصبحا وحيدين ، فوق صخرة معلقة بين السماء والأرض ..
وشعر ((آنسون)) بأنه ثمل من فرط القوة .. ان حياة
انسان بين يديه الآن ..
« اله .. انا اله ! »

ثم .. الفضاء .. الماء .. الصخور .. وقد تقدم للقائها
في حركة رعب ، ويداه مبسوطتان في حركة دفاع عديمة
الجدوى !

.....

● وكانت « واندرا » تنتظر في لهفة وقلق ..
ولم تنبس بكلمة واحدة ، حين رآته يعود وحده !
- انتهى الأمر يا حبيبتي .. كأنما كان يسعى الى
تيسير مهمتى ، فقد تقدم من تلقاء نفسه الى الحافة ..
وكان يحدثنى عن الطبيعة ، والسماء الزرقاء ، و .. بدفعة
خفيفة ، انتهى كل شيء !
وكان ((أورين سميث)) يبدو منتشيا ، حالما ، وهو
يتكلم ..

- كان الأمر غاية في السهولة .. ترى هل ... ؟
ولم تدعه يتم سؤاله ، اذ أدركت ما طاف بخاطره ..
- هيا يا حبيبى ! .. كيف كان له أن يشك في الأمر ؟
وهو ((أورين سميث)) كتفيه ، وقال وهو شارد البال :
- كان رجلا ساذجا كل السذاجة .. بيد أنه كان متين
البنية !

.....



قرباً مع الباعة

عيون ظالمة

تأملات في الحب ..
والحياة ..
انطباعات وانتفاضات
حياة نابضة ..
تصوير صادق
وصريح للقائهما الأول
بالحب ..
بين فرح .. وياس
.. وأمل .. تنطق به
صفحات كتابها الأدبي
الجديد :

للكاتبة الأدبية : لوسي يعقوب

عيون ظالمة

طباعة فاخرة - غلاف أوفست ٤ ألوان - ورق أبيض -
ثمن النسخة ٢٥ قرشاً

حارة الحارة؟!!

قصة
من إنجلترا



للقصاص المعاصر: مايكل هاستينجز

ترجمة: محمد بدر الدين خليل

● كان لاصطفاق الباب فعل رنين الساعة المنبهة على عقله ، فأيقظه من جموده وسكونه . فمن أغرب الأمور ، أن المرء يستطيع التعرف على صوت اصطفاق بابه كتعرفه على صوت انطلاق محرك سيارته !

ولم يكن بحاجة الى أن يلتفت ، اذ أدرك أن « رودا » هي التي صفقت الباب . ولو أنه توقف وأصغى ، لالتقطت أذناه دقات كعبي حذاءيها ، وهي تسرع الى الناصية ، حيث كانت في انتظارها سيارة أجرة .. كان موقنا من أن السيارة هناك فعلا ، وذلك الشاب ((ويد)) يفتح بابها وهو يرتجف لفرط التوجس والانفعال ..

لا بد أن « ويد » سيبادرها قائلا : « ما كان أقسى الانتظار يا حبيبتي !.. لقد خشيت ألا تأتي . هل صادفت مشقة في الحضور الليلة ؟.. هل تظنين أن الشك راوده ؟ » ولا بد أن ضحكة « رودا » الخافتة ، المخملية ، ستنبعث وهي تقول : « يا له من شخص وديع !.. ما من مشقة البتة ، فهو في طريقه الى النادي البغيض كعادته .. ونحن منطلقان في الاتجاه المضاد ، نحو الأضواء المتألقة والموسيقى !.. »



● وقال في نفسه : « هذه نتيجة الغباء الأحمق ، يا ستيفن هارتلاند .. هذا ما يتأتى عن زواج شيخ مخرف بفتاة كالنحلة تحوم سعيا وراء الرحيق الشهى !.. في طريقه الى النادي ؟ !.. كأنها كانت تقول : في طريقه الى القبر ! » ولكن ، هل كان هذا مقصده الليلة حقا ؟.. لقد كان ثمة أمر علق بذاكرة ((هارتلاند)) في تلك الأمسية ، وإن لم تتضح له معالمة .. كل ما كان يتذكره هو أن عليه أن يذهب لمقابلة ((مانيسيتي)) بصدد ذلك الأمر . وأخذ يفكر :

« اننى لا أصيب حظا كافيا من النوم ، وان كان يبدو أن
مخى يخلد للنعاس من وقت لآخر ، فليست أدرك ما أفعل ..
يا لها من صدمة ، أن أتبين أن جسمى يسير دون ارشاد
من مخى ! اننى أظن الى نفسى - أحسبانا - فإذا بنى فى
منتصف سلم أرقى درجاته .. ووجدتنى - فى مرة أو
اثنتين - أستخدم التليفون ، دون أدنى فكرة عما أقول ..
إنها أمور تحدث ، ولكنها لا تستغرق أكثر من ثوان ..
ولا يبقى منها شيء فى ذاكرتى إطلاقا .. فكانها حالة
اظلام تام ! »

وكان بوسعها أن يتمثل صورة « مانيسى » ، برأسه
المائل قليلا الى أحد جانبيه - كأنه عصفور يفكر فى أمر
لا يفهمه - وصوت جهورى بدرجة تدعو للدهشة ، إذا قيس
بحجم الجسم الذى يصدر عنه .. لا ريب فى أن مانيسى
سيقول : « أنك ترهق نفسك بالعمل فوق ما ينبغى .. متى
حظيت بآخر عطلة للاستجمام ؟ .. أممم ، هذا ما خطر لى .
سأعطيك دواء يكفل لك نوما أحسن .. انه أقراص ..
ودواء مقويا ، لا ضرر منه . ولكن ما بك من الحالات التى
تستطيع علاجها بنفسك .. راحة من العمل ، واستجمام
واسترخاء كاملين ، واقصاء لكل الهموم عن العقل .. »
وهذه مسألة سهلة كل السهولة يا « ستيفن هارتلاند » !
.. ليس عليك سوى أن تنسى ، فحسب !



● ولكن هناك أمورا لا سبيل الى تناسيها .. أمور
تثقل عقلك ، بل هى فى جوف عقلك .. بل هى فى قاعه ،
ترحف منه الى أحلامك . لقد جاءت « رودا » مرة ، وقالت
أن الأمر كله خطأ جسيم ، فهى لا تحب « يوم ويد » ..
كان هنا فى المنام ! .. ولقد جاء « توم ويد » يوما الى البيت ،

خلال ضباب كثيف ، واذا بحافلة تنحرف عن الطريق ،
وتضغطة الى باب البيت بشدة الصقته به ، وقد انبسطت
ذراعا الى جانبيه ، فكأنه « خيال المائة » الذى يقيمونه فى
الحقول لارهاب الطيور .. او كأنه كان يحاول أن يمسك
بالحياة اذ فارقت جسده .. وكان هذا حطاما آخر !

ونبضت الذاكرة خلال افكار « هارتلاند » ، لتبلغه
رسالة !

اجل ، هو ذلك حقا ! .. الجسر ! .. كان ذاهبا ليقابل
رجلين عند الجسر . هذا هو الاتفاق الذى ارتبطوا به ليلة
أمس . هكذا بدا لهم الأمر ليلة أمس ، ولكنه لم يعد الآن
موقنا من صواب اللقاء .. ومن المحتمل أنهما شعرا بمثل
تردده هذا . لكم يكون من الطريف أن يظل الجسر فى
انتظارهم ، دون أن يظهر عنده واحد منهم !

ولكنك وعدت يا « ستيفن هارتلاند » ! .. وعدت ، ووعد
الحر دين عليه !

ولكن هذا الوعد صدر فى ليلة أمس ، التى كانت حافلة
بالمشاعر الجياشة .. وكانت الظروف غير عادية .. ثلاثة
أفراد كانوا يعتزمون الانتحار ، فأنقذ كل منهم الآخر من
الموت !

لعله يشكر لهذا الانقاذ حدوثه يوما ما .. بل إن الرغبة
فى القضاء على نفسه قد زالت فعلا .. وقد أصبح الآن قادرا
على تدبير الأمور وتحليلها .. لقد حومت « رودا » بعيدا
عنه ، ولعل فى وسعه أن يستبقياها فى أساره بعض الوقت .
ولكن لا خير فى ذلك ، فهى قد أصبحت غريبة فى بيته ، وأحكم
ما يفعله هو أن يفتح لها الباب ، ويدعها تنطلق .. أن يسمع

طرقات كعبها على درجات السلم لآخر مرة !
أما الحل الآخر فكان أكثر صعوبة .. كان عليه أن

يخبس نفسه في حجرة ، وينصرف - في هدوء - الى ملء صفحة من الورق بالأرقام ، ليتأكد من مقدار ما بقى له من مال . . كان عليه ان ينفق دون مبالاة لفترة من الوقت ، كجداولة اخيرة لاستبقاء « رودا » . لكم اندر نفسه - مرة بعد الأخرى - وفي بطنه شعور قارس البرودة يوسع أحشاءه بأنه قد أوشك على الإفلاس ، وأن من الخير أن يقبض يده !



● وكان من الغريب أن يستعرض كل هذه الأفكار بهذوء ، دون ما انفعال ، في حين أن كل هموم الجحيم كانت تطارده في الليلة الماضية . . لقد ذهب الى الجسر - اذ ذلك - وهو مقتنع تماما بأنه لم يعد ثمة حل للموقف سوى أن يضع لحياته نهاية . .

وكان ثمة شرطي في أحد الأركان ، فأوشك « ستيفن هارتلاند » أن ينكص على عقبيه مدبرا . . وفكر في نفسه : « او أن مسلكي اثار ريب الشرطي ، فانه سراقبني ، ولن تمنح لي الفرصة » . . ولكنه - وقد بلغ النهر - كان كارها لارجاء المسألة . فان للبطن ارادته الخاصة ، التي لا تستند الى منطق ، وقد يشرع - في أية لحظة - في تأكيد حقه في الحياة . . وهو - صاحب البطن - قد أصبح يكره الحياة !

وتحرك « ستيفن هارتلاند » - فوق الجسر - في ثورة . . قد يحسن أن يدخل للمرة الأخيرة ، وفي وسع المرء أن يدخل غليونه ، وهو متكئ بدراعيه على السياج الحجري للجسر ، دون إثارة أية شبهات . فافكار الناس تنطلق عادة على خطوط العرف والعادة ، والمدخن مفكر ، والمفكر لا يلقي بنفسه في النهر ! . . كان عليه أن يفعل شيئا ما - على أية حال - لأنه لم يكن وحيدا فوق الجسر ، فعلى بضع ياردات منه ، كان ثمة بصيص سيخارة . . وفي الجانب المقابل - من

الجسر - كان ثمة شيء مقيم ، له وجود مادي لا يبرر الظن بأنه ظل أو شبح !

وتطلع بصبر نافذ ، الى حيث كان بصيص السيجارة باقيا .. يا لعنة ! لا بد أن ذلك الشخص أشعل سيجارة جديدة ! .. ماذا وراء وجوده هناك ؟ أهو في انتظار فتاة ؟ .. وأخذ ((ستيفن هارتلاند)) يزداد شعورا ببرودة الطقس ، فقد كان الجسر مكانا مكشوفاً .

وغنم لنفسه : « لا داعي لأن أسلم نفسي للبرودة قبل الأوان ! » .. وتحرك قليلا - فوق الجسر - ليستحث دورة الدم في جسمه من ناحية ، وليرضى فضوله من ناحية أخرى . وتوهج التبغ في غليونه ، فذكا بصيص السيجارة ردا عليه . واضطره دافع خفى الى أن يتوقف . وانفتا نفاد الصبر في كلمات انطلقت ، قبل أن يحاول أن يمسك لسانه ويلزم الحذر :

- هل تعتزم البقاء هنا طيلة الليل ؟

- ... تعتزم البقاء هنا طيلة الليل ؟

ورانت لحظة صمت مشدوه . عقلان امليا على لسانين تساؤلا واحدا ، في وقت واحد ! .. وكان « ستيفن هارتلاند » الأسبق الى نفخ الصمت المشدوه عن ذهنه . ولعل ضحكته كانت متوترة ، ولكن كلماته انسابت بيسر :

- أترانا هنا لغرض واحد يا صاحبي ؟

وانساب من الآخر صوت واضح ، في ثقيل توحيه المראה المدمرة عادة :

- يبدو أن الأمر كذلك ...

قال ستيفن هارتلاند : « موعد مع الجسر ! .. لكم قرأت بأن الأمر ليس بالقسوة التي تتصورها ، بعد التعرض لصدمة البرودة الأولى ، عندما تمس الماء » .

— أمن المحقول أن يكون أقسى من أن يفتح المرء عينيه على يوم جديد . . . مئات الأيام ؟

— أنك مثلي يا صاحبي ، لا تصدر عن وحى اللحظة ، بل أنك فكرت في الأمر . . . فلست تندفع متهورا . . .

— لقد ذروت رماد دنيائى فى الهواء . . .

— لندخلن معا . . . نفثات أخيرة ، فى جو من الزمالة ، قبل أن نمضى !

وانبعث الصوت فى شيء من السرعة : « فكرة طيبة . . . اعتقد أن هذا يخفف عنا الأمر . . . يخفف عنا الشعور بأن الوحشة تمد قبضتها لتحتويك ! »

● وواصل الحديث فى الموضوع ، وهما يقفان خارج إطارى حياتيهما الأول مرة فى سياق هاتين الحياتين . . . فشاهدا نفسيهما وكأنهما ممثلان على خشبة مسرح ! وقال « ستيفن هارتلاند » لنفسه : « ولكنى لم أعد ممرورا بنفس الدرجة التى كنت عليها ليلة أمس . . . لعل مرد ذلك الى اننى قد شخّط ، ولم أعد شابا له فى الحياة ما يدفعه للتشبث بها . . . »

لقد قال الرجل ، بعد أن تبسّدا قصتيهما : « هذا هو الموقف . . . عودة بعد الحرب ، وتخلص من الزى العسكرى ، ولكن . . . ماذا ؟ . . . بيت تلاشى ، وعمل زال . . . اننى واحد من أصحاب المهن الحرة المنبوذين ! . . . ثم المرض . . . ونفاد النفود ! . . . ومن يحفل بالمرء ؟ . . . انه يصبح هدف الاهانات الرخيصة من السياسيين الذين استقروا فى مناصب مأمونة . . . لقد ضقت بكل شيء . . . بوسعهم أن ينتشلوا جثتى من النهر ، ويهدد المجتمع ضميره بأن يعلن أن توازن عقلى قد اختل ! » قال ستيفن هارتلاند ، بوازع خفى : « أنك شاب ، وبوسعك أن تبدأ من جديد . »

— وأنت لديك من الخبرة ما يساعدك على بداية جديدة !
وتحول الحوار الى قذائف يرمى بها كل منهما الآخر
ليثنبه عن عزمه . وأخيرا ، رأى « ستيفن هارتلاند »
الأسبيل لترجيح رأيه على رأى الآخر ، إلا بأن يضحى
برغبته ، فقال :

— اسمع . . هناك غد دائما . فهل تحنو حذوى ، إذا أنا
أبدت استعدادا لأن أفسح للصباح التالي فرصة ، يثبت
فيها أن كان من ورائه خير أو شر ؟

ثم ابتسم في الظلام ، وأردف : « . . وعلى أية حال ، فإن
الجسر لن يغيب عن مكانه ! »

— الصباح ؟! . . أترانى لم أعان قسوة الشعور بالحرمان
عندما أجد صندوق البريد خاويا ، يوما بعد يوم ؟
— تحملها مرة أخرى . . وسأفعل مثلك ؟

وتغيرت لهجة الصوت ، وهو يقول : « وهل نلتقى مساء
الغد ؟ . . هنا ، حوالى هذا الوقت ؟ »
قال ستيفن هارتلاند : « اتفقنا ! »

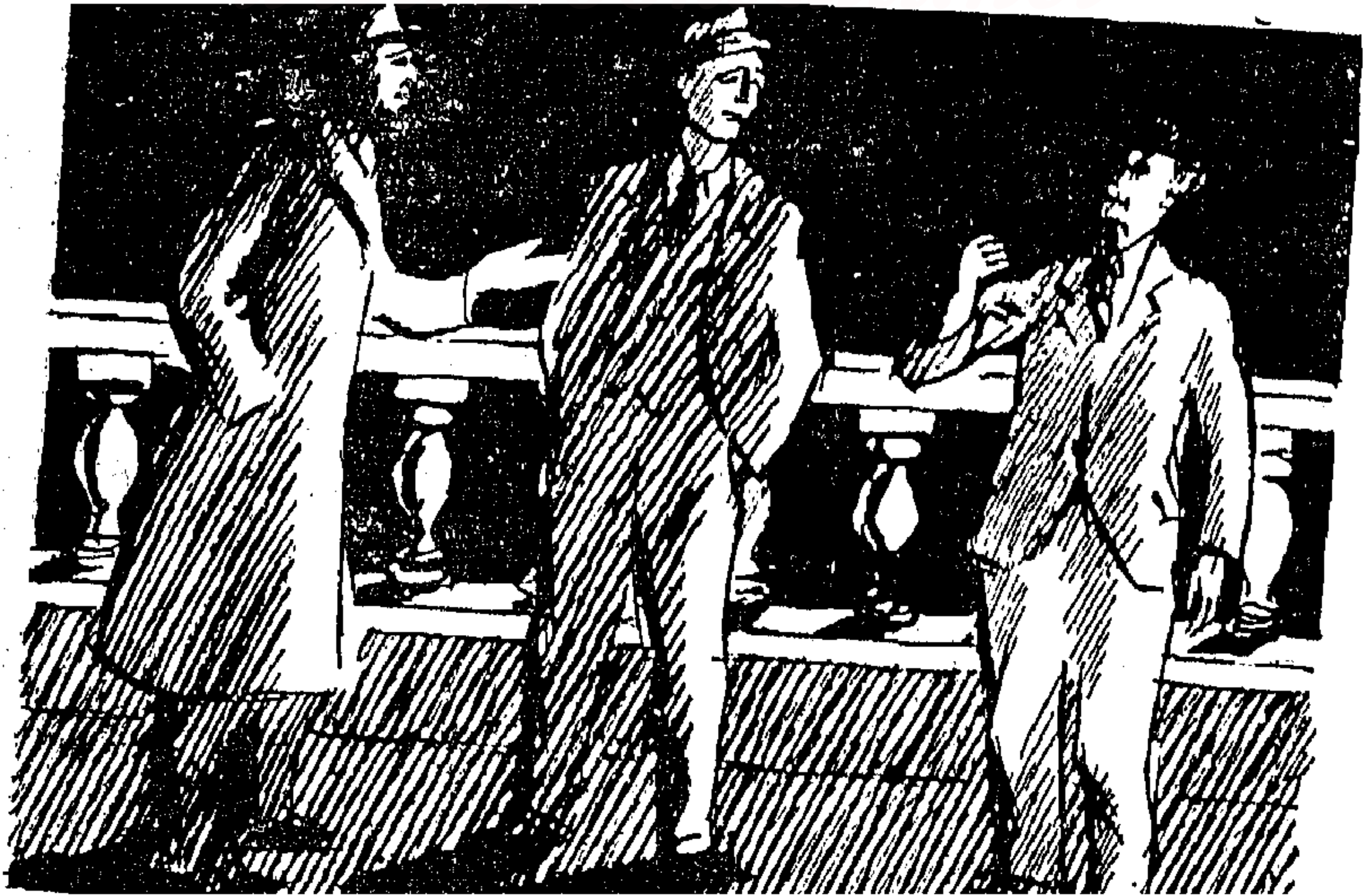
وتحرك في الظلام شيء ما . . وداخل « ستيفن هارتلاند »
شعور غامض بأن شخصا ما عبر الجسر من الجانب الآخر ،
ولكنه لم يحاول تبيينه ، لفرط استغراقه في الحديث . .
وانبعث — بالقرب منهما — صوت مبجوح ، لاهت :
« بالله عليكما ، ألن تنصرفا من هنا ؟ . . اننى أريد أن أخلو الى
نفسى فوق الجسر للحظات قلائل ! »



● هكذا كان الجسر في الليلة الماضية . .

انك على موعد هناك الليلة يا « ستيفن هارتلاند » ! . .
موعد مع الرجلين . . ستلتقون ثلاثكم فوق الجسر !
كان هذا اللقاء يبدو معقولا ، اذ ذاك ، أما الآن ، فالامر
يبدو مختلفا . يبدو خياليا بعض الشيء ، أحقق نوعا ما ! . .

وشعر « ستيفن هارتلاند » بارتياب في أن يحضر الرجلان .
 أو . . . قد يأتي الرجل الضئيل الجسم ، ذو الصوت المبحوح .
 . . انه قادم بلا مرأه ، بجسمه واسمه . . كان اسمه
 « ألبرت كزينز » . يا للمسكين ! لن يكون للتأخر يوما واحدا
 اثر عليه ، فإن النهاية محتومة ، لا مناص منها ، فقد قال :
 - انهم لا يستطيعون اجراء جراحة لى . . احسبهم بذلوا
 كل ما في طوقهم . انها من تلك الحالات التي لا حيلة فيها .
 قد اكون مخطئا فيما اعتزمت ، ولكنى اؤثر أن اسير لنهايتى
 على قدمى ، بدلا من أن اصبر واذبل واصبح جثا وعظاما ،
 فى انتظارها . . لقد شهدت وفاة مريض بالسرطان . اننى
 اعرف ان لدى فرصة لأن اعيش بضعة أشهر ، ولكنى افضل
 أن اختم حياتى بسرعة ، وانا بعد على شيء من القدرة . . .



يا للمسكين !.. أجل ، لابد أن « ألبرت كزينز » قادم .
لقد تقبل الاقتراح ، من قبيل العطف فحسب : « الأمر سيان
بالنسبة لي ، ولكن الأرجاء للغد قد يساعدكما ، وسوف ..
أجل ، سأقابلكما مساء غد ! »

لعله حدس أنه سيجد الجسر خاليا .. وعندهما تكون
موقنا من أن الفجر الجديد لن يأتي لك بجديد ، فهذا لا يعنى
أنه سبطلع على غيرك خالى الوفاض !

هل من العطف والرحمة أن يصافح الرجل الضئيل
الجسم ، قبل أن يهوى في الفضاء ؟ .. ربما ! ولكن المرء -
ولا ريب - يشعر بشيء من الحماسة اذ يقول : « لا يبدو الأمر
عاجل الضرورة ، كما كان يبدو بالأمس . أشعر بأن تغيرا طرا
على الموقف ، ولكن التوتر خف .. لعل يوسعى أن أمضى في
التجربة ، أنا الآخر ! »

وعرج في نهاية الشارع ، فلاح له النادى ، وفي مدخله
أضواء ترحب بالوافدين . سيكون جو النادى مريحا ، فماذا
يمنع من الدخول ؟

ولكن « ألبرت كزينز » ينتظر هناك !

ليس من الشهامة تركه يذهب الى الجسر وحيدا . ومن
الأفضل توديعه بكلمة رقيقة . ولكن ذلك الشنساب المزعور
النفس قد يكون هناك !.. عجبا ، لقد أصبحت مشكلتا سواه
هوا اللتان تشغلان باله ... !

ترى هل يكون ذلك الشرطى اللطيف هناك ؟ .. لكم
سيكون تبادل التحيات - من جديد - أمرا غريبا .. انها
دراسة في المتناقضات !.. ان الحياة - حتى في وضعها
الراهن - تلد مواقف طريفة حقا !



● وكان الجسر في مكانه ، ولكن ما من شرطى هناك ..

ولمة مركبات قليلة تعجاز الجسر ، فقد كان الوقت مبكرا .
بعض الشيء . عن موعد الأمس . . وهنساك النهر ، بمائه
البارد ، أشبه بزيت أسود تتخلله ديدان ملتوية من الضوء . .
انها انعكاسات المصابيح !

وها هنا مكان اللقضاء . . بعد اقواس دعائم الجسر
بقليل . .

— أهلا ! اذن فقد جئت ! . . يا للعجب ، كنت اظنك لن
تأتى !

— اصارحك باننى اوشكت الا اجد ، ولكنى شعرت
بخزى لا أدري ماته . . انه خوف وليد المدنية . . الخوف من
الظهور بمظهر الاحمق السخيف . . ومن ثم كنت ادخل
النادى اثناء مجيئى . . اصدقك القول ، اننى لم اتوقع ان
القاله . . انما كنت افكر فى ذلك البائس ((البرت كرينز)) !

— كذلك كان الأمر معى . كنت اتسلى بتأمل النهر فى
انتظار ان يأتى . هل تلمح انواء زورق الشرطة ، فى منتصف
النهر ؟ . . ان الزورق يتحرك ببطء شديد ، ولن يدهشنى ان
تكون ثمة عملية انتشال . ما أغرب الشعور الذى يخامرك اذ
تفكر فى انه كان من المحتمل ان تكون جثتك هى التى
ينتشلون . . !

— فكرة لا تبحث على السرور . الا قل لى . . كيف كان
حظك اليوم ؟

— لقد مر اليوم ، كغيره من الايام . الامانة تحملنى على ان
اقول اننى كنت فى شبه غيبوبة . . وجوم كئيب خامل . .
ما ارانى الآن مستعدا للقفز الى المساء ، فالأمر لا يستحق
المجهود الذى يتطلبه . . واذا كانت الظروف لا تبسدو قد
تغيرت ، فانى أنا تغيرت . . لقد جرفنى تيسار الالمبسالاة
بمسدا . . .

— تكاد حالى تشبه حالك . لو انك سألتنى عما كنت
أفعل فى يومى ، لوجدت عذاء فى أن أوافيك بصورة واضحة .
ألم أخبرك بأن مخى يركن الى النعاس أحيانا . هكذا كانت
حاله اليوم . على أن التوتر تلاشى ، حتى وأنا أعلم أن زوجتى
خرجت الليلة مع عشيقها ، فالأمر لم يعد . . أجل ، لم يعد
يشير اهتمامى . . عجبا ، ها هو صديقنا ((ألبرت كزينز)) !
— مساء الخير ! . . اذن فقد اجتمعنا مرة أخرى ؟ . .
كأسرة سعيدة !

— ربما كأسرة ، ولكنى لا أجزم بأنها « سعيدة » ، فالبرد
هنا قارس ، ولو أننى فى النادى لكنت أسعد حالا ، فيما أرى
. . ولكن ، حدثنا أولا عن نفسك . . ماذا فعلت بعد انصرافك
ليلة أمس ؟

— ماذا فعلت ؟ . . ياله من سؤال ! . . فعلت ما فعلتماه .
تريشت برهة ، ثم عدت الى هنا لأقفر فى النهر !
واقبلت على الجسر سيارة ، مزقت أضواؤها الأمامية
الظلام ، فاذا الجسر جامد ، عار ، خال . .
اذن فقد كان الذى واتاهما فى الموعد ، هو شبح
« كزينز » ، وليس « كزينز » نفسه . .
وتبخرت من راسيهما كل رغبة فى الموت ، ولم تبق سوى
الرغبة فى الفرار . . من الشبح !

قصّة من إيطاليا

شرح في عقل "دون لولو"!

للكاتب الإيطالي الخالد
لويجي بيرانداللو



ترجمة: د. م. ب.

أسلوب واقعي وفلسفة غريبة !

يعتبر « لويجي بيرانديللو » من أحسن القصصين المعاصرين ، لا في إيطاليا وحدها ، بل في العالم بأسره . . . وقد فاز بجائزة « نوبل » للأدب . وقد اتسمت قصصه القصيرة - التي كتب معظمها في الفترة بين سنتي ١٨٩٤ واندلاع الحرب العالمية الأولى - بغرابة فلسفتها ، مع واقعية أحداثها ، ولعل القصة التي تقدمها لك على الصفحات التالية ، تشهد بذلك .

نلى ان « بيرانديللو » - الذي ولد في (صقلية) سنة ١٨٦٧ ، ومات سنة ١٩٣٦ - يدين بالقدر الأكبر من شهرته ، الى مسرحياته ، ومن ثم فهو لم يعرف ككاتب قصة قصيرة ، بقدر ما عرف ككاتب مسرحي . . . ولعل أشهر مسرحياته المعروفة للقارئ العربي ، هي : « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » . . . واتسمت مسرحياته بعين ما اتسمت به قصصه : الواقعية ، مع غرابة الفلسفة ، حتى ليسائل المشاهد - او القارئ - نفسه : « ماذا يقصد المؤلف ؟ » . . . ويعمله هذا على التفكير ، وعلى أن يستخلص لنفسه الغاية المقصودة من العمل الأدبي .

● كان محصول الزيتون وفيرا ، في ذلك العام ، حتى انه أثقل الأشجار . . . وساعد على اكتمال جودته ما شاع في الجو من ضباب ، طيلة الفصل ، مما جعل « لولو زيرافا » يعلق آمالا جساما على مزروعاته في (بريموسول) فلم يكتف بالأواني والقذور الفخيارية القديمة - التي كان يودعها

تخزن الخمور - لاستيعاب كل الزيت الذي توقع أن يدره
عليه محصوله ، وأوصى بصنع جرة أخرى كبيرة ، في (سائت
ختيفانو دي كامسترا) ، حيث اعتاد أن يوصى بقدره
وجرارته المصقولة .

وكانت الجرة الجديدة هائلة ، تبلغ قامة الإنسان طولا ،
ولها بطن كبيرة الانتفاخ ، مما يبوئها مكانة الأم بين الجرار
الخمس التي كان يمتلكها .

وقد يكون من الضروري أن اذكسر انه - الى جانب
الخلافا الذي نشب بين « دون لولو » وصانع القدور - كان
من العسير أن تجد شخصا سلم يوما من الشجار مع « دون
لولو » لانه الأسباب . . . اذ كان يكفي أن يسقط حجر عفوا
من حائط مجاور ، أو أن يطير شيء من القش نحو مزرعته ،
ليصبح بخدمة أمرا أن يسرعوا فيسرجوا بغلته ، ليطير الى
المدينة ، فيرفع الأمر الى السلطان ! . . حتى لقد أوشك
على الافلاس لفرط ما كان ينفق على المحامين والقضايا . .
ودائما ما كان ينتهي الأمر بأن يخسر الدعوى ، ويدفع نفقات
الاجراءات القضائية عن الجانبين !

ويقول الناس ان محامي « دون لولو » قد سثم رؤيته
مرتين أو ثلاثا في كل أسبوع . . كما يقال ان « دون لولو »
حاول أن يختصر سجل قضاياها ، فجمعها في دفتر في حجم
« كتاب الصلوات » ، ضمنه ملخصا لكل قضية ، وموجزا
لكل مشكلة مرت به ، ليسترشد بذلك في الحكم على مدى
صواب أو خطأ موقفه من أي نزاع ، قبل أن يسارع الى رفع
الأمر للقضاء !

وقد اعتاد القسوم - اذا ما اختلفوا معه في أمر - أن
يستثيروا ، فيصيحوا مقلدين آياه : « اسرجوا البغلة ! » . .
ولكنهم - بعد أن اهد هذا الدفتر - أصبحوا يقولون له :

« اذهب واستشر دفتر احسوا لك ! » .. فكان يرد عليهم متوعدا : « سأفعل ، وسأخرب بيوتكم ! »



● ووصلت الجرة الفخارية الجديدة ، التي دفع فيها « دون لولو » أربعة « فلورينات » ، فوضعها الى جوار مخزن العنب . ريثما يعد لها مكانا مناسباً . . . وكانت جرة لم تر البلدة أبدع منها ، ولذلك ضاقت صدور الكثيرين لرؤيتها في ذلك المكان . الذي كانت رائحة عصير العنب والرطوبة العطنة تثقل جوده .

وكان على « دون لولو » - وقد بدأ جمع العنب قبل يومين - أن يبقى الى جوار عمال الحصاد يراقبهم ، ويراقب - كذلك - الرجال الذين أخذوا يجيئون بالبغال محملة بالسجاد ، ليكدسوه الى جوار التل ، حيث كان يمتلك حقلا اعتزم ان يزرع به « فاصوليا » للموسم القادم . وكان يشعر بأن هذا العمل أكبر من أن يقوم به رجل واحد ، اذ كان مضطرا الى ان يروح ويجيء ليراقب الفسريقين . . وكثيرا ما نازعته نفسه الى أن يقتل شخصا أو اثنين ، لمجرد أن حبة من العنب وقعت اثناء النقل . . وكان يحاسب الحاصدين وكأنها أحصى حبات العنب قبل جمعها ! . . ومن حين الى آخر ، كان ينصرف عن جامعي العنب الى أصحاب البقول ، مهددا اياهم بالويل والثبور ، اذا ما اكتشف أن أحدهم حمل مقدارا أقل مما ينبغي !

وكان يقي رأسه بطاقيّة بيضاء ، وقد شجر حميه غن ساعديه ، وفتح صدر قميصه ، وراح يجري هنا وهناك ، وحبات العرق تجلجل وجهه الأحمر . . وقد أومضت عيناه بشراسة ، وأخلت يده تحك - بحركة غاضبة - ذقنه التي

نبت شعرها .. وما كان اسرع الشعر الى النمو غزيرا بمجرد
ان يرفع موسى عن فؤديه !



● وكانت قد انتقضت ثلاثة ايام كاملة من العمل ،
عندما ذهب ثلاثة من عمال المزرعة - ذوى الوجوه القادرة -
الى مخزن العنب ، ليودعوه احمالهم من المحصول .. ولكنهم
لم يكادوا يدخلونه ، حتى سمروا فى اماكنهم مشدوهين ،
اذ راوا الجرة الجديدة مكسورة الى نصفين ، وكأنما شقتها
موسى حادة الى شطرين !

- اواه ! يا الهى ! .. انظرا !

- يا للسماء ! .. كيف حدث هذا ؟

- ما الذى سيفعله « دون لولو » عند سماعه بالامر ؟
واقترح اول الثلاثة - وكان اكثر من زميله خوفا -
ان يغلّقوا باب المخزن ، ويبادروا بالانصراف فى هدوء ،
تاركين احمالهم الى جوار الجدار ، فى الخارج . بيد ان
الثانى عارضه ساخطا :

- يا لغبائك ! .. ان يفتر « دون لولو » بهذا ، وقد
يتهمنا باننا الذين كسرنا الجرة .. كلا ، لنبق جميعا هنا !
وتقدم الى الباب ، فصفق بيديه مناديا : « دون
لولو ! .. دن لولوو .. ! »

واقبل الرجل ، فما ان رآى القدر مكسورة ، حتى
صب جام سخطه على المزارعين الثلاثة ، وامسك برقبة
احدهم ، فدفعه الى الجدار ، وصاح :

- ستدفع ثمن فعلتك ، وحق العناء !

وانقض زميلا العامل على « دون لولو » بحركة ضارية ،
وابعداه عن صاحبهما .. واذا ذاك تحولت ثورة « دون
لولو » لتنصب على نفسه ، فاخذ يدق الارض بقدميه ،

وطوح بقبعته ، وانها لظما على وجهه ، باكيا خسارته ،
وكانما فقد قريبا عزيزا ..
- الجرة الجديدة ! .. لقد دفعت من اجلها اربعة
فلورينات !

من عساه يكون قد كسرها ؟ .. أيحتمل أن تنكسر من
تلقاء ذاتها ، دون فاعل ما ؟ .. لا بد أن شخصا كسرها ..
ولا بد أنه كسرها بدافع الحقد ، أو لعله الحسد ! .. ولكن ،
متى ؟ .. وكيف ؟ .. لم يكن ثمة ما ينم عن عنف .. أفيحتمل
أن تكون قد وصلت من المصنع مكسورة ؟ .. كلا ، لقد
كانت سليمة ، وكان لها رنين كالجرس ، عندما أحضروها !



● واذا رأى العمال أن سورة غضبه قد هدأت أخيرا ،
شرعوا ينصحونه بالأ يقسو على نفسه بهذا الشكل ، ما دام
من الممكن اصلاح الجرة ، لا سيما أن الكسر لم يكن فادحا ..
كان خطأ واحدا ، في وسع أي مجبر ماهر أن يجبره باللحام ،
فتعود الجرة كالجديدة تماما !

وكان العم « ديما ليساس » أول من خطر ببالهم ، فهو
قد اخترع نوعا من « أسمنت اللحام » حرص على تكتم
تركيبه ، وأثبت أنه كان لحاما فريدا ، إذا جبر به شيئا فلن
تستطيع له كسرا ، ولو طرقته بمطرقة ! .. لذلك اقترحوا
على « دون لولو » استدعائه ، وتعهدوا بأن يحضر مع أشراق
النهار التالي ، إذا قبل اقتراحهم !

ولم يعرفهم « دون لولو » - في البداية - سمعا ، إذ بدا
له إلا أمل يرتجى ، وما من شيء يصلح الكسر .. بيد أنه
« لبث أن مال إلى الاقتناع » فلم يسفر الصبح حتى كان
العم « ليساس » قد وصل إلى « بريجوسول » ، وعلى ظهره
ربطة ضمت كل معداته .. وكان شيخا أشوه الوجه ، دقيق

الأطراف ، كشجرة زيتون هرمة .. لا تخرج الكلمة من فمه
 إلا بهناء ، وكانت تنتزعها منه انتزاعا !
 وكانت ظللا من الأسى ترين على أساريره ، لعل منشأها
 أنه لم يكن يلقي من الناس تقديرا لوهبتة كمخترع ! .. ولم
 يكن العم « ديما ليساس » قد سجل اختراعه بعد ، فقد أثر
 الإبطاء حتى تثير نتائج الباهرة ضجيجا يكفل له الشهرة
 والرواج .. وهذا ما دعساه الى أن يكتم سره ، فلم يطلع
 عليه أحدا .



● ألقى « دون لولو » على العم « ديما ليساس » نظرة
 فاحصة ، شملته من رأسه الى قدميه لعدة دقائق ، ثم قال
 في ارتياب :

— أرني هذا اللحام الذي اخترعت !
 فهز العم « ليساس » رأسه رافضا ، وقال : « لسوف
 قري نتائجه ! »

— ولكن .. هل سيكون متينا ؟
 ووسع الرجل ربطته على الأرض ، فأخرج منها لفافة
 حمراء ، عبارة عن منديل أحمر كبير ، التف لفات عديدة
 حول شئ ما . وبدأ يفك اللفات في حرص ، والجميع حوله
 يرقبونه بانتباه شديد . ثم انفجروا ضاخين حين تبينوا
 أن المنديل لم يكن يضم سوى نظارة كسرت ذراعها ، فحل
 محلها رباطان من خيط .. ولم يحفل بهم العم « ديما
 ليساس » ، بل ثبت النظارة فوق أنفه بحرص ، ثم أخذ
 يفحص الجسرة بعناية وناة ، وما لبث أن قال : « سيكون
 متينا ! »

قال دون لولو : « ولكني لا ألق باللحام وحده .. لا بد
 من استعمال مشابك حديدية ! »

وكان جواب الرجل : « اذن .. فانا منصرف ! »
 واعاد لف نظارته في المنديل ، ورفع الربطة الى كتفه ،
 ولكن « دون لولو » أمسك بذراعه ، وهو يصيح :
 - منصرف .. الى أين ؟ .. ان اخلاقك ليست خيرا
 من اخلاق الخنزير .. يا لك من صعلوك تتعاضم ! ..
 الذى يحنقك ايها الفبى ؟ .. اننى سأضع فى الجرة زيتا ،
 أفلا تعلم ان الزيت قد يزشح خلال الكسر ، اذا أنت
 استخدمت « الأسمنت » وحده ؟ .. اننى أريد مشابك
 حديدية مع الأسمنت ، ومن حقى أن أقرر ما أريد !
 وأغمض العم « ديما ليساس » عينيه ، وزم شفتيه ..
 هكذا شأن الناس جميعا ، لا يريدون أن يتركوه يعمل وفق
 ما يراه اصلح ، على هدى فنه ، ليثبت لهم ميزات اللحام
 الذى اخترعه ..

وقال أخيرا : « اذا لم يعد سليما تماما ، من جديد .. »
 ولكن « دون لولو » قاطعه قائلا : « لا أريد أن أسمع
 كلمة واحدة .. أفعل ما أريد ، وسأدفع لك لقاء الأسمنت
 والمشابك ، كم تريد ؟ »

- اذا أنا استخدمت « الأسمنت » وحده ..

- يا الهى ! .. يا لك من عنيد ! .. ماذا قلت لك ؟ قلت
 أريد مشابك حديدية ، وسأجزيك بعد اتمام العمل ، فان
 وقتى لا يتسع لأن أبدده معك !



● وانصرف الى مراقبة رجاله ، بينما شرع العم « ديما
 ليساس » فى العمل ، وهو يشعر بأن كرامته قد جرحت ،
 فأخذ يصب سخطه مع كل ثقب كان يحفره فى جانبى الكسر
 من الناحيتين - للمشابك ..

واختلطت ضوضاء آلة الثاقبة بصيحات الخشّاذير في حفيرة قريبة . . وما أن اتم حفر الثقوب ، حتى ألقى بالآلة الثاقبة بضيق ، ورفع شطري الكسر ليسوى أحدهما بالآخر ، ويتأكد من تقابل الثقوب ، ثم تناول مقصا معدنيا ، وراح يقطع أجزاء صغيرة من سلك حديدى . . ثم نهأ أحد العمال - الذين كانوا يجمعون العنب - وسأله أن يساعده .

وبحركة غاضبة فتح صندوق « الاسمنت » ، ورفع به الى السماء وكأنه يشهداها على انكار البشر لقيمتها . . وأخذ يسبغ من المسادة على طول جانبي الشق . . ثم حمل قطع الأسلاك و « كماشة » ، ودخل في أحد شطري القدر المكسورة ، وطلب الى العامل أن يطبق عليه الشطر الآخر . وقبل أن يسلك القلع الحديدية في الثقوب ، قال من داخل القدرة .

— احكم أطباق الشطرين ليلتصقا بالأسمنت . . هكذا !

. . أرايت كيف التصق الشطران ! . . لعنة الله على من يأبى أن يصدقني من الناس ! . . اطرق جانبي القدر ! أترى كيف ترن كالجرس ، برغم وجودي بداخلها ؟ . . اذهب واخبر مخدمك بذلك !

فقال الرجل ، وهو يطلق زفرة : « للسادة أن يصدروا الأوامر ، وما على الصغار إلا أن يطيعوا . . ثبت الأسلاك في الثقوب ! »

وشرع العم « ديما » يدس الأسلاك في الثقوب المتقابلة ، ويحكم ربطها من الداخل . . واستغرقت العملية ساعة ، أغرقه العرق خلالها ، وهو طيلة الوقت لا يكف عن التذمر والشكوى ، والعامل يحاول أن يسرى عنه . . حتى إذا انتهى العمل ، قال العم ديما : « والآن ، ساعدنى على الخروج ! »

ولكن .. بقدر ما كان بطن الجرة واسعة ، اذا بعينها ضيق ! وعبثا حاول العم « ديماء » ان يفلت من العنق ، فقد عجز عن الخروج برغم ما راح يبذل من جهود . ووقف العامل مستغرقا في الضحك ، بدلا من ان يحاول مساعدته !



● وهكذا اضحى الشيخ « ديماء » المسكين ، سجين الجرة التي اصلحها . ولم تعد ثمة وسيلة لاجراجه الا بكسرها ثانية .. ولكن الكسر - في هذه المرة - قد يكون كبيرا ! وسمع « دون لولو » الضحك والصرخ ، فأقبل مهرولا ، ليرى العم « ديماء » داخل الجرة ، مهتاجا كقط ثائر ، وهو يصيح :

- اخرجنى من هنا ، بحق السماء ! .. اخرجونى ! ..
اسرعوا ! .. ساعدونى !

وتراجع « دون لولو » مشدوها ، لا يكاد يصدق شيئا .. وأخذ يردد : « ماذا ؟ .. داخل الجرة ؟ .. هل حبس نفسه بالداخل ؟ »

وتقدم من الجرة - اخيرا - وصاح بالعم ديماء :
- اساعدك ؟ ! .. أية مساعدة تحسبني قادرا على ان اقدمها لك ؟ .. ما معنى هذا ايها العجوز ، المخرف ؟ .. لماذا لم تتفقد حجم الرقبة منذ البداية ؟ .. تعال ، حاول ! اخرج ذراعك ! .. نعم ، هكذا ! .. والآن ، اخرج رأسك ! .. لا ، لا ، برفق ! .. ادخل ثانية ! .. انتظر ! ليس بهذه الطريقة ! .. ارجل الى الداخل ! كيف تضع نفسك في هذا الوضع ؟ .. ماذا انا فاعل بقدرى الآن ؟

وصرخ في الواقفين حوله : « هددوا ! .. هددوا ! .. » ..
كأنما كانوا هم مصدر الجلبة ، وليس هو !

وَنُفِطَ جَبِينَهُ بِأَصَابِعِهِ ، وَاضْأَفَ ، « يَا لِلْحَيْرَةِ ! .. أَيْ
الطَّرِيقِ أَتَبِعُ ! .. لَيْسَتْ هَذِهِ جَسْرَةٌ ، وَأَتَمَّا هِيَ لَعْنَةٌ مِنَ
الشَّيْطَانِ ! .. الزَّمِ الْهَدُوءَ ! »
وَأَسْرَعَ يَثْبِتُ الْجَبْرَةَ ، إِذْ كَانَتْ حَرَكَاتِ الْعَمِّ « ذِيْمَا » لَا
تَهْزُهَا ، وَهُوَ فِي هِيَاجٍ كَوَحْشٍ فِي مَصِيدَةٍ !

ستخرج عندما اعود . . وحتى ذلك الوقت ، اليك
اجرك . . خمس ليرات !

والقى بالثقود فى جوف الجرة ، ثم تسامع : « هلى
تناولت غداءك ؟ » احضروا له خبزا وشيئا ما ، حالا ! ..
ماذا ؟ لا تريد طعاما ؟ .. لا بأس ، القاه الى الكلاب ان
شئت ، ولكنى افعل ما يقضى به الواجب ، فاقدمه لك ! »

● وامتنع « دون لولو » بفلته ، وانطلق نحو المدينة

.. وراح طيلة الطريق يحدث نفسه ، ويأتى بإشارات جعلت كل من رآه يظن أنه إنما كان ذاهبا ليحل نزيلا على مستشفى الأمراض العقلية !

وساعده الحظ فلم يطل انتظاره ، قبل أن يدخل مكتب المحامى .. ولكنه اضطر للانتظار طويلا ، حتى يفرغ المحامى من ضحكته ، بعد أن أصفى الى القصة .. وأحنقه سلوك المحامى ، فقال فى انفعال :

— عفوا ، لست أرى ما يستدعى الضحك .. الأمر بسيط بالنسبة اليك ، لأنك لا تعاني شيئا .. فلست أنت صاحب الجرة !

ومن جديد ، عاد المحامى يضحك .. ما لبث أن سألته أن يروى الحكاية — مرة أخرى — بتفصيل واسهاب .. ثم عاد يضحك ، وهو يقول :

— فى جوف الجرة؟! .. اذن ، حبس نفسه بالداخل؟! .. وماذا يريد ((دون لولو)) أن يفعل ؟ .. أتريد أن تبقه .. تبقيه داخل القصر؟! .. ها ! ها ! ها ! .. تبقيه بداخلها ، لكى لا تكسرها؟! ..

وصاح دون لولو : « ولماذا اكسرها ؟ .. ماذا يدعونى لأن أبعد نقود ؟ .. ولماذا يضحك الناس منى اذ أحرص على حقوقى ؟ »

وقال المحامى أخيرا : « مهلا .. ألا تدري ماذا يسمى ذلك قانونا ؟ .. أنه يسمى : السجن خطأ ! »

— سجن ؟ .. ليكن ! ومن الذى سجنه ؟ .. هو الذى سجن نفسه ، فلماذا أتحمل خطاه ؟

وشرح له المحامى أن للمشكلة شقين . أولا : على « دون لولو » أن يطلق سراح الرجل فورا ، اذا شاء الا يتهم بسجن الغير خطأ ! .. وثانيا : ان الرجل مسئول عن تعويض

« دون لولو » عن الخسارة التى سببها بعدم مهارته او بغبائه !

اذ ذاك فقط ، تنهد « دون لولو » بارتياح ، وقال :
 - آه ! .. اذن فعليه ان يدفع لى ثمن القدر !
 - مهلا ! .. انتظر ! .. ان يدفع ثمن الجرة وهى
 جديدة . تذكر هذا !

- ولم لا ؟ .. اليسى هى جديدة ؟
 - ولكنها كانت مكسورة .. وكان الكسر بالغا ، كذلك !
 - مكسورة ؟ .. كلا يا سيدي ، انها ليسى الآن
 مكسورة ، بل أصبحت افضل مما كانت ! .. الرجل نفسه
 يشهد بهذا ، واذا كان لراما ان اكسرها ثانية ، فسيشعر
 أصلاها فى هذه المرة ، وسافقدها تماما .

ورأى المحامى ان هذه نقطة جديدة بالاعتبار ، ومن ثم
 سيكون على الرجل ان يدفع ثمن الجرة بحالها الراهنة ..
 وقال : « وعلى هذا ، استتبرج الرجل ليقدر بنفسه حال
 الجرة وقيمتها الراهنة ، قبل كل شئ ! »
 وامجب « دون لولو » بالفكرة ، فانصرف مهرعا !



● واذا عاد الى مزرعته قبيل الغروب ، وجد الرجال
 ملتفين حول الجرة - التى كان الرجل بداخلها - وكلاب
 الحراسة تشاركون ضجيجهم . ولم يكن العم « ديمبا » قد
 هذا فحسب ، بل انه راح يضحك من نفسه فى وضعه هذا !
 ودفعهم « دون لولو » جانبا ، ونظر داخل الجرة .
 وصاح : « كيف حالك ؟ »
 فأجابه الرجل : « بخير ! .. حال سعيبة ، فهذا مكان
 احسن من بيتى ! »

— لكم يسعدني أن أسمع هذا ! .. ولكني أود أن أعرفك بأن هذه الجرة كلفتني أربعة فلورينات وهي جديدة .. كم تظنها تساوي الآن ؟

وسأله العم ديما : « أتقصد قيمتها .. وأنا بداخلها ؟ »
وضحك الناس ، فصاح بهم دون لولو : « سكوتا ! » ..
ثم عاد يخاطب سجين الجرة :

— أما أن يكون لحامك ذا قيمة ، أو لا يكون كذلك ،
وليس هناك احتمال ثالث ! .. فإذا كان غير ذي قيمة ، فأنت
غشاش ! .. أما إذا كان ذا قيمة ، فمعنى هذا أن الجرة
الآن قيمة .. فماذا عساها أن تكون ؟ .. إنني أسألك أن
تقدرها بنفسك !

وفكر العم « ديما » لحظات ، ثم قال :
— اليك اجابتي : لو أنك كنت قد تركتني أصلحها
بالأسمنت فقط ، لما وجدتني في هذا الوضع ، ولكانت الجرة
قد عادت الى قيمتها الحقيقية دون ما شك .. أما وقد
أصلحت بهذه السلوك الحديدية ، التي تطلبت ضروزة
أحكامها من الداخل ، فقد أصبحت آثار اللصام ظاهرة ،
وفقدت الجرة بذلك معظم قيمتها ، فهي الآن لا تساوي
سوى ثلث قيمتها الأصلية .. لا أكثر ، ولا أقل !
— ثلث قيمتها ؟ .. أي فلورين واحدا ، وثلاثة وثلاثين
سنتا ؟

— قد تكون أقل ، ولكنها لا يمكن أن تكون أكثر !
— ليكن ! .. عدني بأن تدفع لي فلورين وثلاثة وثلاثين
سنتا !

وصاح العم « ديما » متسائلا ، وهو لا يفهم شيئا :
« ماذا ؟ »

— ساكسر الجرة لأخرجك منها ، وقد أخبرنى المحامى
أن عليك أن تموضنى عنها ، ومن ثم فعليك أن تدفع قيمتها
تفقا لما قدرته بنفسك : فلورين واحدا وثلاثة وثلاثين
سنتا !

وضحك « ديمبا » قائلا : أنا ادفع ؟! .. اننى افضل
البقاء فيها حتى أتعبن ! »



● وبعناء أخرج من جيبه غليوناً وأشعله ، وأخذ ينفخ
الدخان خارج الجسرة .. فوقف « دون لولو » فى مكانه
مفيطا ، إذ لم يخطر بباله وبأل محاميه أن « ديمبا » قد
يفضل البقاء فى الجرة .. فماذا تراه فاعلا الآن ؟
وأوشك أن يأمر رجاله بأن يسرجوا البفلة ، ولكنه رأى
أن الليل قد هبط ، فلم يملك سوى أن يقول : « آه ،
آه ! .. اذن فانت تريد الإقامة فى الجرة ! .. اننى أشهدكم
أيها الرجال على أنه يرفض الخروج ، ليتهرب من الدفع ! ..
اننى مستعد لأن اكسر الجرة ! .. ما دمت نصر على البقاء ،
فسارفع عليك فى الفسء دعوى ، لأقامتك غير القانونية فى
الجرة ، وحيلولتك بينى وبين استعمالها كما أشاء ! »

ونفخ العم « ديمبا » آخر نفس من الدخان ، وقال فى
هدوء :

— كلا .. لست أمنعك اطلاقا ! .. انظنى هنا حبا فى
البقاء ؟! .. اخرجنى ، وسيسرنى أن أنصرف الى حال سبيلى
.. أما ان ادفع تقودا ، فهذا ما لا استسيغه ، ولو فى
الحسب !

وأوشك « دون لولو » — فى سورة الفضب — أن يدفع
الجسرة بقدمه ، ولكنه كبح جماح انفعاله ، وأمسك الجرة

بيديه وراح يهزها بعنف ، وهو يزمجرج ، فصباح
« ديما » من جوف القدر :

— أرايت مدى متانة الاسمنت !

وصاح « دون لولو » مهتاجا :

— غلطة من هذه ، أيها اللئيم ؟ .. غلطتك أم غلطتى ؟ ..
أدفع من مالى ثمن خطأك ؟ .. مت حيث أنت ، ان شئت ،
وسنرى أينما الرابع !

وانصرف مهتاجا ، ناسيا كل شيء عن الليرات الخمس
التي كان قد ألقاها للرجل في الجرة ، عندما انطلق ليزور
المحامى .. وكان أول ما جال بخاطر العم « ديما » ، هو اتفاق
هذه الليرات في اللهو مع عمال المزرعة ، الذين كانوا قد قرروا
أن يقضوا ليلتهم حول الجرة ..

ومن ثم ، أرسل العم « ديما » أحد الرجال بالليرات الى
حانة قريبة ، ليأتيهم بما يلزم السهرة ..



● وكان القمر ساطعا ، أحال بضوئه الليل نهارا ، مما
أدخل على السهرة بهجة . وأقبل الجميع على الشراب ..
ومرت ساعات ، ولم يغمض لدون لولو جفن ، لفرط
غيبه وحنقه ..

وفجأة ، فطن الى صخب وصياح مزعجين .. وأسرع
يطل من شرفة داره ، واذا به يرى الرجال وقد شعثت
الخمير في رؤوسهم ، فراحوا يصيحون مخمورين ، وأمسك
بعضهم بأيدي بعض وهم يرقصون حول الجرة ، بينما كان
العم « ديما » يغنى — بداخلها — بأعلى صوته ..

وفي هذه المرة ، أفلتت أعصاب « دون لولو » ، فأنطلق
يجرى من الدار .. ومن المزرعة .. وقد فقد عقله !

الحياة الجنسية عند الإغريق

للياحث الاجتماعي
“هانز ليشت”



التزعات الجنسية وسلوك الانسان في الحياة

من الحضارة الاغريقية ، اقتبست الحضارة الغربية المعاصرة فلسفتها ومبادئها . ومن ثم فلا بد من ان ندرس حضارة الاغريق القدامى ، اذا شئنا ان نفهم حضارة الغرب . ويرى الباحث المدقق البروفيسور « هانس ليشت » ، انه لدراسة اية حضارة ، لا بد من البحث عن السلوك الجنسي لابنائها ، لان التزعات الجنسية تنعكس على معظم نواحي سلوك الانسان ، لا سيما في النشاطات الفنية والذهنية ..

وعلى الصفحات التالية ، يقدم لك « كتابي » تلخيصا وافيا للحلقة الاخيرة من الدراسة المتمعة والقيمة ، التي قام بها البروفيسور « ليشت » حول « الجنس في الحضارة الاغريقية » ، والتي قدمنا لك منها اربع حلقات في الاعداد الاربعة السابقة ..

حب الرجل للمرأة

● كانت الفكرة السائدة عند القدماء - وعند الاغريق بوجه خاص - هي ان الحب ، او بالأحرى الجزء الجسدي من الحب ، ليس سوى مرض ! .. وهو نوع من الجنون اقل عنفا من الجنون المتعارف عليه ! .. واعتبار الحب البدني مرضا ، نشأ عن انه ينجم عن الشهوة . والشهوة اختلال في التوازن الصحيح بين الجسم والعقل ، وهو التوازن الذي لابد من توفره ليكون المرء سائيا . فتحت دفع الرغبة الجنسية ، يفقد العقل سلطانه على الجسد . اما اعتبار الحب البدني نوعا من « الجنون » ، فمرجعة الى ان المقبرة العقلية

— أو قدرة الذهن على الإدراك — تصاب بتلك مؤقت خلال الواقعة .

ومن الطريف أن العلم الحديث — في شرحه للظواهر الجنسية — يبين أن المواد الكيماوية التي تتكون في الجسم — عند الواقعة — تكون ذات أثر مخدر . ومن ثم فإنها تسبب خمولا عابرا في القوى الذهنية .

ولقد اعتنق الفيلسوف الألماني « هارتمان » — ومن قبله « شوبنهاور » — هذه الفكرة عن الأفريق ، واستخلص منها الاستنتاج المنطقي . القائل : « أن الحب بسبب من الألم أكثر مما يسبب من اللذة . فاللذة ليست سوى تصور . وكان خليقا بالعقل أن ينهانا عن الحب ، لولا أن الدافع الجنسي يتغلب على سلطان العقل . . . ومن ثم ، فقد يكون الخصى (بتر الأعضاء التناسلية) أفضل ! . . غير أن المنطق شيء ، والعلم القائم على المشاهدة والحقائق شيء آخر . وقد أثبت العلم أن الخصى لا يذهب بالحافز الجنسي ، وكان الأفريق يعلمون ذلك . . بدليل القصة التي رواها « فيلوستراتوس » عن مغامرة عبد خصى مع سيدة من « الحريم » في بيت مولاه . . وفي الأدب الأفريقي القديم الكثير من أمثال هذا الدليل .

العين مصدر الفتنة وحمرة الخجل تولد النار

• ولقد نظم « ثيوكريتوس » قصيدة كاملة في الرثاء لصديقه الطبيب « نيسياس » ، والتوجع للواعجه ولوعاته الناشئة عن الحب ، بداها بقوله :

« ما من علاج آخر للحب يا نيسياس ، سوى عرائس الخيال . . وأنه كعلاج رقيق ، عذب ، ولكن الوصول إليه عسير ! . . »

ولو تأملنا هذه النصيحة ، لوجدناها تطابق ما ينصح به علم النفس الحديث من « التسامى » . . فكان الأفريق يدركون

أن خبر علاج الحب ، هو تحويل الذهن والعواطف عنه ،
بالاشتغال بأمور أخرى تستغرق تفكير المرء ومشاعره .
وقد دعا « ثيوكريتوس » صديقه الطبيب - في هذه القصيدة
- الى ان يحاول نظم الشعر ، ليشغل به عن هواه .

على ان الاغريق لم يكونوا يعرفون العلاج لداء الحب
فحسب ، بل انهم كانوا على الامم بكيفية سريان « سم الحب »
من النفس والقلب الى الاعضاء . ويقول « سوفوكليس » ان
منفذ السم هو العين . . فهي التي ترى « ما في عيني العذراء
من سحر فائن ، تمارس خلاله الربة « افروديت » هوايتها
التي لا سبيل الى مقاومتها » . . ويقول « يوريبيدس » عن
دور العين : « ان ايروس يقطر الشوق من العينين ، فيوقظ
الرغبة في نفس الشخص الذي يريد ان يخضعه للهوى » . .
ويتكلم « ايخيلوس » عن « سهم الحب الرقيق ، الذي ينطلق
من العينين » . . كما يقول « اخيل طاطيوس » ان للجمال
جراحا تفوق ما يحدثه السهم . . « فهو ينفذ خلال العينين
الى النفس ، لان العين هي المسلك الذي يسلكه الهوى ليحدث
جراحه » !

وتضرج وجنتي العذراء خجلا ، يوقظ الحب في الرجل . .
حتى اذا ارسلت العذراء صوتها خلال شفثيها الورديتين ،
ثم استسلام العاشق ، على حد تعبير « سيهونيديس » . . ولكن
هذه الغلبة ليست ساحقة ، لأن سحر العيون والخصود ،
ينتهي الى صراع تكون فيه الغلبة للرجل ! . . وفي هذا يقول
أريستوفينس : « ولكن ، اذا كان ايروس وفينوس القبرصية
ينفثان الرغبة في صدورنا وافخاذنا ، ويحدثان توترا لذيذا
وقاسيا - في آن واحد - في الرجال ، فاني أرجو أن يقال عنا
اننا نحن (الرجال) الذين نقرر نهاية الصراع » . . وذلك عن
طريق « المعابشات » : الشفتان فوق الشفتين ، والعنقاق

الرقيق الطويل . والشفاه فائرة ولسان كل من الحبيبين
بداعب لسان الآخر ، بينما تنطبق يدا الشاب على ثديي
الفتاة وأصابعه تتحسس الحلمتين . . وتعقب القبلات عضبات
رقبة المنتكبين والشديين - بوجه خاص - ثم تمتد يد الشاب
فتنضم غلالة الفريسة الحسناء . . توطئة لقربان الهوى !
كل هذه الملاحظات و « الطقوس » - في معبد الهوى -
ماخوذة عن الكتابات الاغريقية القديمة . . على أن لكل مرحلة
منها أنواعا : فهناك القبلة التي يتناول فيها كل من العاشقين
أذن حبيبه . ليقترب وجهه اليه . . وهناك القبلة التي تطبع
على الكتف أو النحر أو الثدي . . الخ .

صدر الأنثى هو المنفذ الى المتعة

● ويبدو أن صدر الأنثى كان مصدر الهام عظيم للادباء
والفنانين الاغريق . ولا يبين مدى مشاعرهم نحو الصدر ،
قار قصة « فيرني » ومغامليها « هيبيريدس » . فقد اتهمت
« فيرني » بجريرة خطيرة . واتخذت المحكمة للنظر في أمرها
.. وبدا أن الرأي العام كان يتجه الى اعدام المذنبة الجميلة .
فما كان من « هيبيريدس » إلا أن مزق ثوبها عن صدرها ،
وكشف عما لتدريها من جمال ، تالق ، فاذا « تقدير القضاة
لأجوال » يحماهم على أن يحجموا عن اعدام صاحبة مثل هذا
الصدر الفاتن ! . . والذين قرأوا قصة الحروب الطروادية ،
الذكرون مدى نقمة الملك « مينيللوس » - ملك اسبارطة -
عندما افنتت زوجته « هيلين » بالفتى « باريس » وتبعته
الى طروادة . . وبعد الغضب والحروب الاليمة ، لم يكد
« مينيللوس » يرى ثديي « هيلين » عاريتين ، وصدرها
مكشوقا ، حتى نسي غوايتها ، وصفيح عنها !
ولو أن كاتبنا جمع كل ما انعكس على الأدب والفن
الاغريقين ، من مفاتن صدر الأنثى ، لملأ مجلدات . ولكننا

تكتفى بمثال أو مثالين . . فقد كتب « نونس » يشبه حلمتى
 الشدين بمصدرين لانطلاق سهام الحب . . وهو يصف كيف
 ان « ديونيسس » - كرمز للعاشق - يقرب يده الملهوفة من
 صدر الفتاة الواقفة أمامه ، و . . « بحركة تبدو غير مقصودة »
 يلمس البروز المتكور تحت صدرها ، فاذا ما لمس النهدين
 الشامخين ، بدأت يد الرب المفتون بالنساء - يقصد
 « ديونيسس » - ترتعش ! . . وفي موضع آخر - من
 القصيدة عينها - يقول نونس : « وكان جزائى أن أمسكت
 يدي تفاحتين كانتا تبدوان كفاكيتين توأمين نبتتا من جذع
 واحد » !

ومثالنا الثانى ، هو ما نظمه « أوفيد » الشاعر : « وأخيرا
 نصوت عنها ثوبها ، الذى كان من الرقة بحيث أنه لم يكن ذا
 أثر يذكر . . ومع ذلك فقد ظلت تناضل محاولة أن تستتر به .
 وراحت تقاوم وكانها غير راغبة ، ولكن تصرفها كشف عن
 حقيقة رغبتها ، اذ لم تلبث أن انهزمت بسهولة ! واذا وقفت
 امامى عارية تماما ، لم أر أية شائبة فى كل جسمها . فينا
 للمنكبين ويا للذراعين التى رايتها وزحت اتحسسها ! . . ويا
 للشدين المبدعتى التكوين ، وكأنهما خلقتا للمداعبة ! . . ولكم
 بدا قوامها مشدودا فى اتساق تحت ثدييهما الناهدين ،
 لا تشوبه أية غضون ! . . كان كل ما رأيت خاليا من أى عيب
 . . وفى افتتاحى ، شددت قوامها العارى الى قوامى . . » !

العادة السرية عند الذكور والإناث

● الشائع أن العادة السرية مصدر اكتفاء ذاتى يعوض
 عن ممارسة الحب . ومهما يكن من الأسماء التى أطلقت على
 هذا النوع من العمليات الجنسية ، فنحن نؤثر أن نسميه -
 فى هذا الفصل - « العادة السرية » . .

• ولقد كان للعادة السرية - في حياة الاغريق - دور ليس بالصغير . . اذ انهم لم يكونوا يعتبرونها رذيلة ، ولم يكن لديهم نحوها من التحرج الخلقى ما هو معروف لدينا اليوم ، وان كانوا - في الواقع - قد ادركوا اضرار الافراط فيها ، بقدر ما كانوا يعترفون بما تتيحه من لذة ومتعة . وقصارى القول انهم كانوا ينظرون اليها كبديل لممارسة الحب ، وكصمام امن خلقتة الطبيعة لتفادى الامراض الجنسية ، وتجنب آلاف الاثام والخطايا التي تترتب على ممارسة الحب ؛ لانجاب غير الشرعى - وما ينجم عنه من نتائج - وكالسيجن في حالات الاغتصاب ، وكالانتحار الذي قد تقدم عليه الفتاة . . . ومن ثم ، فان الاغريق كانوا يقررون العادة السرية ، حتى ان فنانهم كانوا مشغوفون بتصوير مناظر ممارستها هلى الاوانى الخزفية ، وفي المتحف الملكى ببروكسل ، توجد الى اليوم كأس اغريقية مزدانة برسم فتى يكلل الفار راسه ، وهو يمارس هذه العملية !

على ان العادة السرية للاناث ، كانت من الموضوعات التي لم ترد كثيرا في آثار الاغريق الادبية . هذا امر طبيعى ، اذا راعينا ان احاديثهم عن الرجال كانت هي الغالبة . . . والواقع ان الفتيات الاغريقيات لم يكن اقل مهارة للعادة السرية من الفتيان . . . وكن يمارسها باليد او باستخدام أدوات كانت تبتكر وتصنع لهذا الغرض ! . . . وكانوا يسمون هذه الأدوات « بوبون » Baubon او « اوليسبوس » Olisbos . . . ولقد كانت مدينة (ميليتس) التجارية بـ الوافرة الثراء والبذخ - مركزا لصناعتها ، ومنها كانت هذه الأدوات تصدر الى جميع البلدان . . . وينم بعض ما ورد في مخلفات الاغريق المكتوبة ، من ان اشارة هذه الأدوات كانت عادة شائعة بين الصديقات ! . . . بل ان بلهن من كانت تتحرى الصانع الماهر ، لتعهد اليه بان

يصنع لها أدوات تلائمها وترضيها بشكل خاص . . وكانت الفتاة تستخدم هذه الأدوات وحدها - في خلوة - أو تشرك إحدى صديقاتها معها . ومن هنا امتزجت العادة السرية - لدى الاغريقيات . . بـ « السحاق » ، وهو ممارسة العملية الجنسية بين أنثيين .

((سافو)) . . ملكة عاشقات الجنس المائل !

● وتجمع المعلومات على أن السحاق كان شائعاً في جزيرة (ليسبوس) بوجه خاص ، ولهذا اشتقت تعبيرات في بعض اللغات الأوربية - مثل « الليسبانيزم » و « الحب الليسبى » للإشارة الى العلاقات المشينة بين الاناث بعضهن وبعض . . كما أن مصطلح « امرأة ليسبية » يطلق - في بعض البلدان الأوربية - على المرأة الفاجرة ، بل على العاهرة أحياناً .

ولقد كانت (ليسبوس) مسقط رأس ((سافو)) ، التي وصفت في مخلفات الاغريق بأنها من ((ملهمات الشعراء)) و ((عرائس الخيال)) و ((راهبات قينوس)) ، كما وصفت بأنها ((ملكة المساحقات)) ، ملكة عشق الجنس المائل في الحضارة الاغريقية - وكانت شاعرة موهوبة ، طبقت أشعارها الآفاق . وقد ولدت « سافو » في حوالى سنة ٦١٢ قبل الميلاد ، وكان لها ثلاثة أخوة ، هاجر أكبرهم - وكان يدعى « كراكسوس » - الى (نوكراتيس) بمصر ، وهى أحد المواقع التى اقيمت عليها مدينة الاسكندرية . . فاستقر هناك بصحبة غانية هاجرت معه ، وتسمى « دوريكاً » .

ولقد قيل أن « سافو » تزوجت - فى صباها - وأنجبت ابنة تسمى « كلائيس » ، ولكن الأدلة على زواجها ضئيلة وضعيفة ، كما أن هناك ما يرجح أن « كلائيس » كانت إحدى صديقاتها ، وليست ابنتها . **والذى تجمع عليه كل الأدلة ، هو أن حياة ((سافو)) وأشعارها كانت تفيض بالحب لجنسها .**

وكانت تحيط نفسها بحاشية من الفتيات الحسنات . . وكانت اجتماعاتها بون تمتاز بتبادل الأشعار ، وبمزج الموسيقى ، وباللعب والرقص والغناء !

وكان حب « سافو » لفتياتها حبا عارما ، مشبوبا ، ثم تتورع عن وصفه في أشعارها بعبارات تتمثل فيها العواطف الفياضة ، والتصوير المتأجج الاثارة . وعلى ضوء ما تنهى إلينا من كتابات الاغريق ، لم يكن حب « سافو » هذا معتبرا من الرذائل ، بل ان حب الجنس المائل بين الاناث لم يكن رذيلة . . واذا كان ثمة لوم قد وجه الى « سافو » ، فما كان ذلك الا احراجها وعلايتها في المجاهرة بشيء كانوا يعتبرونه من الاسرار الشخصية !

الفحولة في حب الانثى لابنة جنسها !

● والقد وصف « هوراس » سافو بأنها « ذكر » ، لان طابع الفحولة كان اغلب ما يميز حبها . . وكانت تهتز بقوة هذا الحب العسائى « كما تهتز السنديانة في العاصفة » . . وبفيض شعرها بما كانت تلقاه من نشوة ، وهنساء ، وآلام ولومات في هذا الحب .

وكانت احب فتياتها اليها ، فتاة تدعى « آثيس » . . وقد روت « سافو » - في كثير من اشعارها - كيف تولد هذا الحب في اعماقها فراحت تقاوم تدفقه الطافى ، ثم . . وكطفل يطر الى امه ، ها انلى اطر اليك ! « وراحت تناجى الربة « الفروديت » وتشكو اليها لوماتها واساها ، وتضرع اليها كي تعينها على تحقيق ما تصبو اليه نفسها . . ولم تقو الربة على ان تصم اذنيها دون هذا الدعاء ، فبشت في قلب « آثيس » الجرأة والشعور بالثقة المفعمة بالبهجة في الحب ، وبهذا لفتحت نفس الفتاة لتقبل حب « سافو » !

وكان كلف « سافو » بصاحبها أقوى بكثير من هيام أى رجل بامرأة ، كما أن الهوى الذى جمع بين « سافو » و « آثيس » - بعد ذلك - كان أقوى من أى غرام بين ذكر و أنثى ، فكانما امتزجت الاثنتان فى كيان واحد شسطنط الى جسدٍين ! .. على أن الفكرة كانت تفرى فؤاد « سافو » أحيانا ، كلما ساورتها الهواجس ازاء علاقة « آثيس » بأحد من البشر ، ذكرا كان أو أنثى .. ثم ضرب الفراق بين الاثنتين ، اذ انتقلت « آثيس » الى (ليديا) .. ولكنه لم يثل من وجد « سافو » وهيامها ، فكانت تنظم القصائد شرقا الى فتاتها ..

وكان القدامى يزرون فى علاقة « سافو » بتلميذاتها ، مقابلًا للعلاقة التى كانت بين « سقراط » وتلاميذه .. وفى تعلق « سافو » بالفتاة « آثيس » ما يقابل علاقة الفيلسوف الكبير بتلميذه « السيبيايس » .. وكما كتب فلاسفة وأدباء فى تحليل أوجه الشبه بين الفريقين ، والواقع أن الحسية المرفهة نحو الجمال لدى « سافو » و « سقراط » ، كانت الأساس الذى قامت عليه علاقات الهوى والواصل بين كل منهما والشباب من أبناء جنسه !

البغاء عن الاغريق

● بالرغم من صعوبة الحصول على مراجع وافية عن « البغاء » فى الحضارة الاغريقية القديمة ، فإن القدر الذى استطعنا التوصل اليه بين بجلاء أن « البغاء » كان من الظواهر الجنسية الشائعة عند الاغريق ، وأنه لم يكن يقتصر على « بائعات الهوى » اللاتى يرتفن ببيع أجسادهن ، بل كان يشمل الخيلات اللاتى يعيشن مع من يحين حياة زوالية كاملة لا ينقصها سوى طقوس الزواج الشرعى ، و « كاهنات

« قينوس » اللاتي كن يمارسن العلاقات الجنسية مع الرجال كلون من الطقوس التي تتطلبها عبادة الزهرة « قينوس » ! ومن هنا تعددت الألفاظ التي كانت تطلق على « البغى » . كما ان الاغريق كانوا يتحاشون استعمال كلمة « البغى » او « العاهر » على بائعات الهوى ، فكانوا يسمون ارقى طبقاتهن : « الرفيقات » او « الانيسات » . . وكان من الاسماء الشائعة لبائعة الهوى : « المعبرة » - بكسر الميم وسكون العين - أي « المعدية » ، وهو اسم اقتبس عن عادة الفرواني في التسكع عند الجسور لاصطياد العملاء . . و « المرأة العامة » ، و « الجارية » - من الجرى ، لانها كانت تؤدي مهمتها ثم تسارع بالانصراف - و « أداة المخدع » ، اشارة الى انها مجرد « أداة » للمتعة . . و « الذئبة » و « النرد » - او « زهر الطاولة » - تشبيها لها بالنرد الذي تتداوله ايدي الرجال فتهزه ثم تلقيه !

كانت لبيوت الهوى « تسعيرات » تفرضها الدولة !

● وكانت للبغايا - اللاتي يتجرن في اجسادهن - بيوت الهوى ، وفي هذه البيوت ، كانت ادنى طبقات البغايا يستقبلن الرجال . فكن يقفن في مداخلها عاريات ، او في غلالات رقيقة شفافة ، حتى يتحن للزائر ان يختار من بينهن من توافق ميوله وذوقه .

وكان لدخول بيوت الهوى رسم زهيد ، يتباين في فئاته وفقا لتباين البيوت . والى جانب هذا الرسم ، كان على الزائر ان يقدم للبغى « هدية » ، بمثابة الأجر . وكان صاحب البيت - او صاحبتة - يدفع من حصيلة رسم الدخول ضريبة سنوية للدولة ، اسمها « ضريبة البغاء » . . كما ان الهدية - او « الاكرامية » ، كما كانت تسمى - التي

يدفعها الزائر للفتاة ، كانت محددة وفقا لـ ((تسعيرة)) خاصة . . اذ كانت بيوت البغاء - والبغايا انفسهن - تحت رقابة دقيقة من الدولة ، صونا للآداب العامة ، وللصحة . وكانت معظم بيوت البغاء - في المدن الساحلية - تتجمع في الأحياء القريبة من الموانئ . . كما كانت تنتشر - بوجه عام - في الأحياء التي كان يطلقون عليها اسم (سراميكس) ، أو أحياء صناع الأواني الفخارية . فكانت تمتد في شارع عريض ، يبدأ في سوق الحي ، ويتجه شمالا حتى أبواب المدينة . وكثيرا ما كان هذا الشارع يخترق أحد الأحياء ذات الصبغة الدينية ، فلم يكن الاغريق يرون في هذا ما يمس قداسة الحي ، لانهم كانوا يرون في البغاء نظاما اجتماعيا يصرف الرجال عن محاولة النيل من أعراض الفتيات . . وبالتالي ، لم تكن زيارة بيوت البغاء أو أحياء الدعارة بالأمر المستهجن !

نعال ((فتيات الشوارع)) تطيع الدعوة للمفتونين !

● ولم تكن أحياء البغاء تفتح أبوابها « قبل الساعة الرابعة من بعد الظهر ، وذلك ((لكي لا ينصرف الشباب عن الأعمال وممارسة الرياضة)) . وفي تلك الأحياء ، لم تكن ثمة بيوت - على النسق الذي شرحناه - بل كانت هناك غرف تجلس أمامها البغايا في أوضاع مثيرة . فاذا عرج زائر على أحدها ، دخلت معه غرفتها ، وأوصدت بابها ، بعد ان تعلق عليه لوحة تحمل كلمة « مشغولة » . وكان الزائر يدفع الأجر للفتاة مباشرة .

وعرف الاغريق طبقة أخرى من البغايا ، يطفن باماكن وشوارع معينة من المدينة ، ليتصيدن العملاء . . وهي طبقة لم تكن تحترف البغاء احترافا كاملا ، وانما كانت

تمارسه كمهنة ثانوية .. وتقع هذه الطبقة - في الترتيب - بين نزيلات بيوت البغاء ، وفتيات أحياء الدعارة .
ومن طريف ما يروى عن فتيات الشوارع ، أنهن كن يسرن في أحذية نقش على نعالها بالمسامير عبارة : « اتبعني » ! ..
فكانت العبارة تنطبع على الأرض غير الحجرية ، فتلفت نظير السسائر خلفها وتنبيهه الى مهنتها ! .. ويروى « السبياديس » ، أنه شغل مرة بفتاة ، كانت تحيط خصرها بحزام كتب عليه : « حبني ، ولكن لا تغار اذا نالني غيرك من الرجال » ! .. وكانت هذه الطبقة تتسكع عادة في الشوارع الحافلة بالحركة ، أو المفضية الى أرصفة الميناء . وكن يعسطن سيدهن الى الحجرات التي يقمن فيها ، أو الى الأركان المظلمة والبقاع غير المطروقة من المدينة ! .. وربما احسطنهم الى الحمامات العامة ، أو الى فنادق وحانات أعدت حجرات خاصة تؤجرها لهن !

((الأنيسات)) .. طبقة كانت موضع تقدير المجتمع !
● اما ((الرفيقات)) أو « الأنيسات » فكن يشغلن مكانة مهمة في الحياة الافريقية . وكن - على نقيض الطبقات الأخرى من البغايا - يستمتعن باحترام المجتمع . إذ كن يمتزن بذكاء وقاد ، وتعليم راق ، وبديهة ولباقة . أي أنهن كن قدبرات على ابن يبهرن من يتولين الترفيه عنهم ، من على القوم .. من قادة ، وسياسيين ، وأدباء ، وفنانين . وبهذا كن يجمعن بين الامتاع الذهني ، والامتاع الجسدي . ومن ثم كان أمن أثر ملحوظ في حياة كثير من الشخصيات المبرزة في التساريخ الافريقي .. وقد يمكن أن يقال أنهن كن أشبه بسيدات ((الصالونات)) في الحضارة الفرنسية - في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر - وفتيات ((الجيشيا)) في اليابان ، الى حد ما !

وكان للرفيقة منهن بيت خاص ، مؤثث بأفخم الرياش ، لا يخجل أحد من دخوله .. بل ان تماثيل البعض منهن ، كانت توضع في المعابد والبنائيات الصامة الى جوار تماثيل القادة والزعماء !.. ولعل أبرز دليل على قدرهن في المجتمع الاغريقى . ان مهنتهن كانت أكثر رواجاً وازدهاراً ، في المدن التى تجتذب الأجانب ، كالمدين التجارية والبحرية ، لا سيما (كورنثه) .. حتى لقد كان من الأمثال الشائعة : « الرحلة الى كورنثه لا تعود بالريح على رجل » !.. اذ كانت المتع التى يجدها الرجل هناك ، تشده اليها حتى ينفق كل أمواله ، فيرحل عائدا الى بلاده خالى الوفاض !.. فقد كانت (كورنثه) تزخر بالآتيسات ، وبالبعايا ، وبكاهنات معبد « فينوس » أو « افروديت » ، اللاتى كن يتجساوزن الألف عدداً . وكن يعرفن بـ « الكاهنات » أو « خادمت المعبد » .. وكانت ارض القلعة — وهى أقوى معقل فى المدينة — تضم معبد « افروديت » ، وقد حفت به أسوار من الكتل الحجرية الكبيرة . ويراه القادمون — فى البحر — من مسافة بعيدة .. وقد أقام الأتراك — اثناء احتلالهم بلاد اليونان — مسجداً فوق موقعه !

اهداء الفتيات الى معبد « افروديت » !

● ومن طريف ما يؤثر ، أن « اكسينوفون » بن « تيسالوس » — وكان من أغنى نبلاء (كورنثه) ، نذر للربة « افروديت » أن يكرس مائة فتاة لخدمتها فى المعبد ، اذا هو فاز فى المباريات الأولمبية ، فى سنة ٤٦٤ قبل الميلاد . وقد بر بوعده عندما فاز ، فنظم الشاعر « بيندار » — وكان من اعظم شعراء اليونان — قصيدة لم تلبث أن أصبحت انشودة على كل لسان ، وقد جاء فيها :

« ايتها المشتبهات المنشودات فى (كورنثه) الفنية ،

يا اخلص الوفيات لـ ((يبيثو)) - الفواية والاغراء - يا من ترسلن دموع العطر الذهبية ، وسحائب البخور في تقوى وخشوع ، وتتجهن بارواحكن محالقات الى ((افروديت)) ام الحب السماوية ، التي تكفل لكن - من السماء - الصبح الجميل والغفران العذب . . يا من تتصرعن ، كي ترشفن رحيق فاكهة الشبَاب الفص ، في مباهج الغرام . . لقد ساقى ((اكسينوفون)) الى بستان الملكة القبرصية (افروديت) مائة فتاة ، برا بوعده !

وفي مجتمع هذه نظرتة الى البغاء ، كان من الطبيعي أن يزدهر الادب الذي يدور حول هذه الظاهرة الاجتماعية الجنسية ، وحول « كاهنات افروديت » ، و « كاهنات فينوس » . . والواقع أن الادب الذي تناهى الينا - في هذا المجال - راخر ، متعدد الألوان . . وكم من مسرحية كوميدية ونسبها مؤلفها لتصوير إحدى هؤلاء الفسوانى ، أو لتقوم بتمثيل أهم دور فيها غانية ذات شهرة في زمنها !

((تاييس)) عشيقة الاسكندر المقدوني

وزوجة بطليموس !

● ولعل التمثيلية التي وضعتها « فريكراتيس » - تحت عنوان « كوريانو » - من أطرف هذه « الكوميديات » موضوعا . . إذ تدور حول أب وابن هاما معسا - وفي وقت واحد - بحب إحدى الغانيات ، وراحا يتنافسان على التقرب اليها ، ويتصارعان على الحظوة لديها . .

ومن « الكوميديات » التي وضعت خصيصا لارضاء غنية معينة ، وأطلق عليها اسم هذه الغانية : « ثالاميا » ، لديوقليس ، و « أوبورا » لالكسيس ، و « فانيون » لميناندر . . وقد خلد « ميناندر » غانية أخرى في مسرحية وصلت

الى العصر الحديث ، وان تناولتها الأقلام بالتحوير والتعديل ، من جيل الى جيل .. تلك هي « تاييس » الاثينية ، التي كانت عشيقة الاسكندر الأكبر ، والتي كانت من أقدم الفوانى اللائى استغلن سلطان جمالهن فى المسائل السياسية .
ومما يروى عن تأثير « تاييس » على الاسكندر ، أنها صحبته فى معركة (جوجاميل) ، التى انتصر فيها الفاتح الاغريقى على الفرس ، ودخل بابل غازيا ، واستولى بعدها على العاصمة الفارسية القديمة (برسيبوليس) .. وهناك أقام مأدبة هائلة ، احتفالا بالنصر ، أريقت فيها الخمور أنهارا ، وحضرها عدد كبير من الفوانى ، كانت « تاييس » أجملهن على الإطلاق .. وعندما شعلت النحر فى الرؤوس ، وجرى الدم حاميا فى العروق ، صاحبت « تاييس » فى الاسكندر أن الوقت قد حان ليتوج أمجادها بأشعال النار فى القصر الملكى الفارسى ، انتقاما لما فعله الفرس بالمعابد والمقدسات الاغريقية فى (اكروبوليس) و (أثينا) فى عهد « اكزيركسيس » .. وسرعان ما تحمس الجميع .. وعلى انغام الموسيقى ، أشعلت النار فى القصر ، وكان الاسكندر صاحب أول مشعل ألقى فى القصر ، وكانت « تاييس » صاحبة المشعل الثانى !

ولقد ارتفعت « تاييس » - بعد موت الاسكندر - الى مكانة الملكة ، اذ تزوجت من بطليموس الأول ، الذى آل اليه حكم مصر .

عشيقة الملك تترك آثارها على ذراعيه !

● ومن أشهر « الأنيسات » الاغريقيات « لاميس » الاثينية ، التى كانت عازفة قيثارة ، وراعية للفنون ، فى عهد « ديمتريوس بوليوكريتس » . وقد اكتسبت شهرة وثروة طائلة ، حتى أنها أعادت تشييد معرض الصور فى (سيسيون)

— على عشرة أميال الى الغرب من (كورنثه) ، بعد تدميره . .
ويروى « بلوتارخ » أن « ديمتريوس » أوفد مرة فريفا
من السفراء لمفاوضة حاكم كان على شقاق معه . وبعد أن
انتهت المفاوضات السياسية ، لاحظ السفراء على ذراعى
الحاكم وساقيه آثار جروح وندوب . فلما سألوه عن سببها ،
قال أنها عضات أسد اضطر الى أن يصارعه يوما . . وهنا
ضحك السفراء وقالوا ان ملكهم كان يحصل آثارا وندوبا
كذلك ، من وحش خطير ، يدعى « (لاميا) » . . وكانوا يقصدون
الفانية ، عشيقه الملك !

وفي التساربخ الاغريقى « أنيستاتان » تحملان اسم
« لائيس » . كانتا من أشهر الغوانى . . وكانت كبراهما
تعيش في (كورنثه) أيام حرب (البلوبونيز) ، وقد عرفت
بجمال باهر . وجشع لا يفتقر . وكان كثير من كبار الاغريقين
يتهاكون على بابها . . أما « لائيس » الصغرى ، فقد
ولدت في (مسقية) ، وكانت ابنة « تيماندر » صديق
« السبياديس » . وقد تنافس على حبها أشهر الشعراء
والغنائين . ولقيت مصرعها قتيلا بأيدي الحاققات عليها
لجمالها !

تمثال لفانية وسط تمثيل الأبطال والملوك

● وبين تمثال الى الملك « أرشيداموس » والبطل
« فيليبوس » — في (دلفى) — أقام الاغريق تمثالا للفانية
« فيرنى » ، دون أن يحدوا في ذلك أية غضاضة . وقد روينا
— في الحديث من صدور النساء — كيف أن جمال صدر
« فيرنى » أنقلدها من الأعدام ، أثناء محاكمتها .
وقد ولدت « فيرنى » في مدينة (طيبة) اليونانية ،
وكانت مثالا للجمال الكامل ، وقد اعتادت أن تستر هذا
الجمال تحت أثواب سميقة لا تكشف حسنه . ولم تكن

تتردد على الحمامات العامة ، كما أن رؤيتها عارية كانت من
أندر الأمور . ويروى أنها لم تكن تتعري الا في الاحتفال بعيد
« بوسيدون » . فاذا ما اشتد تراحم الافريق - الوافدين من
كافة أرجاء اليونان - على شاطئ البحر ، نصت « فيرنى »
عنها ثيابها ، وسرحت جدائل شعرها ، ثم وقفت لحظات
ليتأملها القوم عارية ، وقفزت بعد ذلك الى البحر . . وقد
أوحى هذا المنظر الى « آييليس » بتحفته الخالدة :
« افروديت تبرز من البحر » !

ركان صانع التماثيل « براكسيتيلس » مشغوقا بها ،
وقد استوحى جمالها كثيرا من تحفه . وكثيرا ما حاولت أن
تسأله عن أجمل أعماله ، ولكنه كان يراوغها ، الى أن كان
معها - ذات يوم - ودخل خادم لينهى اليه أن النار شبت في
« الاستوديو » ، فقفز « براكسيتيلس » ملعورا ، وصاح :
« اذا لم تكن النار قد أتت على تمثالي « سياتير »
و « ايروس » ، فالحسارة طفيفة ! » . . واذا ذاك ، ابتسمت
« فيرنى » وأخبرته بأن النبا كاذب ، وانها كانت حيلة منها
لتعترف ابداع آثاره . وكان جزاؤها أن أهداها تمثال
« ايروس » ، فأهدته بدورها لمعبد « ايروس » ، وقدر له
أن يصبح من أهم المعالم التي كانت تجتذب الناس الى زيارة
(طيبة) زهاء قرن من الزمن !

ولم يكن التمثال كل ما قدمته هذه الغانية لمسقط
رأسها . . بل انها انفقت على إعادة بناء أسوار المدينة ، بعد
أن كان الاسكندر الأكبر قد هدمها . فكافأها القوم على ذلك
بأن نقشوا على الأسوار : « هدمها الاسكندر وأعادت بنائها
الغانية فيرنى » ! . . كما عهدوا الى « براكسيتيلس » بصنع
تمثال لها موشى بالذهب ، هو الذى أقاموه بين تمثالى الملك
والبطل !

السياسى الذى طلق زوجته ليتزوج غانية !

● من هذا نرى أن الفوانى لم يكن مفتقرات الى الذكاء واللباقة والمشاعر النبيلة . . ولعل أشهرهن - فى هذا المضمار - هى « اسباسيا » التى فتنت « بركليس » ، وكان سياسيا ورجل حكم واسع الشهرة ، عظيم المكانة ، كما كان زوجا وابا ، فى حين أنها لم تكن سوى . . غانية !

ولقد استطاعت « اسباسيا » بجمالها ، وبراعتها أن ترقى الى مكانة كبيرة ، فكانت تجمع فى بيتها عليه القوم فى زمنها ، ومنهم « سقراط » . . ولقد بلغ الافتتان ببركليس أن طلق زوجته ، ليتزوج من « اسباسيا » . . وسرعان ما اكتسبت نفوذا سياسيا ، حتى ليعزو اليها « بلوتارخ » أنها التى حرصت على قيام الحرب بين « اثينا » و « ساموس » . . واثاخ تدخلها فى الشؤون السياسية مادة لمعارضى « بركليس » ، كما أثار استهجانا لدى الشعب ، لا سيما أن الغانية لم تكن من بنات « اثينا » ، وإنما ولدت فى « ميليتوس » ، كما أن زواجها من « بركليس » - بعد طلاقه من زوجته - لم يكن يتيح لها مكانة الزوجة ، بل كان يجعلها بمثابة المخطية ، أو زوجة « من الدرجة الثانية » . . ومن ثم اشتدت عليها الحولات ، حتى لقد قيل أنها كانت تتصيد النساء أزواجهن . . وقال السياسى « اثيناىوس » أنها كانت تمتلك بيتا للعبارة . . وتبارى الشعراء فى وضع « الكوميديات » عنها !

ومن الطبيعى أن مهنة « الرفيقات » أو « الأنيسات » - أو الفوانى ، كانت تتطلب عناية فائقة بالجمال ، وبراعة فى إخفاء آثار السنين على البشرة ومعالم الجسم . . وكانت - الى جانب ذلك - تتطلب دراية واسعة بأساليب السلوك ، وبنواحي الضعف فى الرجال . ولم يكن الوفاء من الفضائل التى يجب أن يتزودن بها ، بل اتهم كن يتلقين - منذ بداية

شأنهن - ابن الوفاء لا يمكن أن يكون سلماً يرقى الى المكانة المنشودة ، وأن الكذب يجب أن يكون فنا يمارس ببراعة ، وأن الحشمة والحياء ليسا من صفات الفوانى !

ام تعد ابنتها لهنة البغاء !

● وفي « حوار الفوانى » ، نجد مناقشة طريفة بين ام وابنتها .. كانت الأم قد فقدت زوجها قبل عامين ، واضطرت الى معاناة الشظف ، ثم لم تجد بدا من أن تدفع ابنتها الى البغاء ..

كروبييل (الأم) : وهكذا ترين ، أن التحول الى امرأة - بدلا من عذراء - ليس بالأمر الفظيع ، كما كنت تخالين .. فقد كنت مع سيد لطيف ، أهداك تقودا ، وسأبتاع لك بجزء منها قلادة .. وعليك أن تتعلمي كيف تعاملين الرجال ، فليس لنا مورد آخر للقوت .. لقد عانيت الكثير - خلال العامين - للحصول على غذاء لنا ، ورحت أربيك وأرتقب بصبر وامل .. كنت أوقن من أنك حين تصلين الى سن البلوغ ستعوليننى ، وستثبتين قدميك وتصبحين غنية ..

كورينا (الابنة) : عم تتكلمين يا أماه ؟ .. ماذا تعنين ؟
كروبييل : اذا خرجت مع الرجال ، فاشربى ونامى معهم ، من أجل النقود !

كورينا : على غرار « ليرا » ، ابنة « دافنيس » ؟ .. ولكنها عاهرة !

كروبييل : ليس هذا بالشئ البغيض ، فانك ستصبحين غنية مثلها ، وسيكون لك عشاق كثيرون . ما الذى يبكيك ؟
.. ألا ترين كثرة العاهرات ، ومدى تهافت الرجال عليهن ، وما يجمعن من مال ؟ .. لقد كانت « ليرا » فى أسمال ، وها أنتى ترين ما أصبح لديها من ذهب ، وثياب مطرزة ، وأربع خادمات . لقد أحسنت التصرف مع الرجال وأرضت

الجميع . . لم تكن تنفجر بالضحك لاتفه الاسباب كما تفعلين ، بل كانت تبتسم بطريقة عذبة جذابة . ثم انها عاشرت الرجال بحكمة ، فما خدعت واحدا ممن كانوا ياتونها او يطلبونها ، ولا تعلقت باحد منهم ، في الوقت ذاته . واذا ما ذهبت للعشاء مع احد - بعد ان يقدم لها هبة بسيطة - فانها لا تسرف في الشراب ، لان الرجال يكرهون النساء اللاتي يخرجهن الشراب عن الوعي . . ولا تداي بطنها بنهم ، بل تمس الأكل مسا باطراف اناملها ، وتمضغ في سكون دون ان تحس شوشت فيها ، وتشرب في تودة ودون افراط . . ولا تنطق بأكثر مما تدعو الضرورة لقوله ، ولا تضحك من احد من الحضور ، بل تقصر نظراتها على الرجل الذي استأجرها . . واذا حان ان ترافقه الى المخذع ، تجنبت كل نزق وتبدل ، وجعلت كل همها ان تأسره وتجعله عشيقا لها . . فاذا تعلمت أنت كل هذا ، فائنا سنعيش في هناء ! وفي حديث الأم ، نجد كل قواعد السلوك التي كان المجتمع الاغريقي يتطلبها من الفانية . .

هكذا أصبح الجنس من الطقوس الدينية !

● كان من العادات المتبعة في (كورنثه) - منذ اقدم العصور - ان القوم اذا سمعوا الى معبد « افروديت » في موكب كبير ، ليرفعوا اليها الصلوات ، ساقوا معهم أكبر عدد ممكن من الفواني . اذ كانت ممارسة الجنس من الطقوس ، لا سيما عند تقديم القرابين . . ويقول بعض المؤرخين القدماء ، ان هذه العادة ترجع الى أيام أن غزا الفرس بلاد اليونان ، فاتجهت جموعهم الى معبد « افروديت » ، كما سمعت الفواني الى هناك ، ورحن يصلين من أجل خلاص الوطن من أعدائه . وقد اقام أهل (كورنثه) في المعبد لوحة كبيرة ، نقشت عليها أسماء جميع الفانيات اللاتي اشتركن في

هذه المناسبة ، وجاء فيها : « هؤلاء الفانيات قد اتحنن في صلاة صادقة الى الربة القبرضية ، من أجل الاغريق وابطلهم الشجعان ، ومن ثم لم تشأ أفروديت المقدسة أن تسلم (الأكروبول) الاغريقى للفريس » . وأصبح من المعتاد - بعد ذلك - أن ينذر المرء عددا من العاهرات للمعبد ، اذا أراد التقرب الى « أفروديت » !

ومن الواضح هنا أن البغاء - في المعبد - كان ذا طابع دينى . ولم يقتصر هذا « البغاء الدينى » على معبد « أفروديت » في قبرص ، بل انه كان شائعا في كافة معابد هذه الربة في بلاد اليونان . ولقد كرس معبد (أبيدوس) الى « أفروديت » ، بعد أن استطاعت إحدى الفانيات - عندما احتل الأجانب (أبيدوس) مرة - أن تسكر حراس العدو بالحب والخمر ، وأن تسرق منهم مفاتيح القلعة وتسلمها الى المجاهدين ، الذين هاجموا الحراس وهم سكارى ، واستولوا على القلعة وحرروا المدينة .

ولقد كان البغاء الدينى معروفا - قبل ذلك - في بابل ، وفي معبد « أفروديت » بعد ذلك ، في مدينة (بيلوس) ، وهي مدينة فينيقية كانت تقوم في موقع « جبيل » الحالية . على أن « هيرودوت » يقول أن هذا النوع من البغاء لم يعد موجودا هناك ، في أيامه . وفي الوقت ذاته ، ذكر أن العذارى - في (لينديا) - كن يمارسن البغاء ليجمعن « دوة » يتوسلن بها الى الزواج . . . وأنه « من أشنع القوانين المرعية في بابل ، أنه ما من امرأة الا ويجب أن تجلس في رحاب أو جوانب معبد « أفروديت » ، وتضاجع رجلا غريبا عنها ، ولو مرة واحدة في حياتها . . . واذا جلبت امرأة عند المعبد ، فليس لها أن تعود الى بيتها الا بعد أن يلقي رجل غريب بقطعة ذهبية في حجرها ، ثم يجامعها خارج جدران المعبد . . . واذا ألقى رجل قطعة ذهبية في حجر امرأة ، فليس لها أن

ترفض مضاجعته ، والا كان رفضها اهانة للربة . . . فاذا فرغت من العملية ، أصبحت المرأة مباركة ، ولم يعد لأى غريب أن يشتريها ، مهما يكن ما يقدمه لها !

فلسفة ((بغاء المعبد)) عند الاغريق

● ولكن نفهم تقليد « بغاء المعبد » عند الاغريق ، نذكر انه يقوم على فكرة ان « افروديت » لا تكتفى بأن تمنح بهجة الحب . وانما هي تأمر الاناث جميعا بأن يساهمن في تحقيقها . اذا كسبت الفتاة صداقها من البغاء عند المعبد ، فان زواجها بدون مباركا . اما اذا وهبت الفتاة نفسها نهائيا للبغاء وأساهمت مكاسبها لصندوق المعبد ، فان هذا يكون منها نوعا من التقوى التى تقربها الى الربة مانحة الجمال والنسوج والخصوبة للاناث . . . وفي فترات كثيرة - من تاريخ الاغريق - كانت الفتاة التى تمنح نفسها لزوجها قبل الزواج - وفي رحاب المعبد - اعز مكانة من تلك التى تحمل بكارتها معها الى بيت الزوجية !

وكانت الفتيات اللاتي يكرسن أنفسهن للبغاء فى المعبد ، لا يقتصرن على ممارسة الاتصال الجنسى مع الرجال ، بل كن يصفين بهجة وتالقا على اعياد الربة ، بالرقص والغناء وعزف الموسيقى . . .

وكان هذا هو الشأن فى البغاء العادى - عند الاغريق القدامى - كذلك . فان البغى لم تكن تكسب عيشها فقط بتكريس نفسها لارضساء رغبات الرجال ، بل كانت بعملها تساهم فى تكريم الجمال . . . ولكن نفهم هذا ، يجب ان نذكر ان الحضارة الاغريقية لم تكن ترى فى البغاء مثكرا ، بل ان بعض من كانوا موضع تكميم الراى العام - مثل ((تيبستوكليس)) - كانوا اولاد بغايا ، ولم ينل هذا من سمعتهم او مكانتهم . . . وكان للفيلسوف ((ارسطوطاليسى))

ابن من بغى تدعى « هربيليس » ، ظلّ يحبها حتى نهاية حياته . وكان « افلاطون » مدّ لها في هوى « اركياناسا » ، وهى من أجمل غوانى (كولوفون) . وقد اوردنا من قبل نبأ غرام « بريكليس » بالبغى « اسباسيا » وزواجه منها . وقد كانت لهذه البغى علاقة كذلك بالفيلسوف « سقراط » .

يضاف الى ذلك ، أن القوم لم يكونوا يجدون حرجاً في أن يسجلوا « أمجناد ! » البغى على قبرها . . . ويقسول « ديكاياركوس » في كتابه « الهبوط الى كهف تروفونيوس » :

« يرى المسافر الوافد على أثينا - من ايليوسيس - بالطريق المعروفة بالطريق المقدسة ، منظراً عجيباً . . . فعندما يصل الى الموقع الذى يترأى له عنده - لأول مرة - معبد أثينا ، وتتكشف المدينة أمامه ، يرى فى الطريق ضريحاً سامقاً يعلو على كل ما يحيط به . وسيظن المسافر - فى بادئ الامر - أنه ضريح أحد عظماء أثينا ، وسيعتقد أنه أنشئ على نفقة الدولة . . . فماذا يكون شعوره ، اذا ما علم أنه ضريح عاهرة تسمى بايثيونيكه ؟ »

وكانت هذه البغى فاتنة حاكم بابل ، أيام الاسكندر المقدونى . وقد انتهز الحاكم - وكان يدعى « هاربالوس » - انشغال الاسكندر فى فتوحاته ، وحمل معه ذهباً كثيراً من بابل ، وهرب الى (أثينا) ، وراح ينفقه على فانتته . . . وبعد موتها ، أقام لها هذا الضريح !

عشق الذكور عند الاغريق

● أكثر الكلمات شيوعاً ، فى تسمية هذا النوع من العلاقات التى تنشأ بين ذكر وآخر من جنسه ، هى Paederasty . ولو أننا رجعنا الى الأصل اليونانى الذى اشتقت منه هذه الكلمة ، لوجدناها مؤلفة من كلمتين « تحب »

و « فتى » . . . والحب هنا بمعنى الشامل ، أى الروح والجسد . أما الاشتهااء الجنسى لدى ذكر الذكر آخر ، فكان يسمى Paedomanic . والتعبيرات الغالبة التى تصادفنا - فيما خلفه الاغريق - توحى بأن « حب الفتيان » كان ينطوى على حب كل ما هو جميل فى « الفتى » من ميزات عقلية وبدنية ، ومن ثم فإن الاشتهااء - أو الحب الجنسى - لم يكن هو الغالب . . . وكان الحب يتضمن أن ينفث الحب فى محبوبه ما يود تلقيته اياه من معرفة وقيم ومبادئ . وفى هذا يقول اكسينوفون : « اننا اذ ننفث حبنا فى الغلمان الملاح ، انما ننأى بهم عن الجشع والبخل ، ونضاعف حبهم للعمل ولغالبية الصعاب وخوض المخاطر ، ونعزز تواضعهم ومقدرتهم على ضبط النفس ! »

لا بد من النضوج الجنسى للمحبوب !

● وليس معنى هذا انه لم يكن للحب الجنسى وجود . . . ومن المهم أن نذكر دائما - ونحن نستعرض هذا الموضوع - أن « المحبوب » أو « الحمل » ، كما كانوا يطلقون عليه ، لم يكن قط فى سن الطراوة ونعومة الاظافر ، وانما كان دائما من ذوى النضوج الجنسى ، الذين وصلوا الى مرحلة البلوغ . ويجب أن نذكر - بجانب هذا - أن اليونان تقع فى المنطقة التى تتيقظ فيها المشاعر الجنسية مبكرة ، وهذه المنطقة تضم : اليونان ، واسبانيا ، وإيطاليا ، وجنوب فرنسا ، والشرق الأوسط ، وشمال افريقيا . . . ومن ثم فإن الفتى غالبا ما يكون فى اوائل أو وسط العقد الثانى من العمر . ولهذا ، فإن الحب الجنسى وممارسة الجنس مع اولاد دون البلوغ ، كان موضع استنكار وعقاب .

ولقد وصف « هوميروس » فى « الأوديسة » كيف أن « أوديسيوس » ارتاد جزيرة (سيرس) وأوقل فيها ، فاذا

به يلتقى بالرب « هيرمز » — دون أن يعرفه طبعاً — في صورة فتى « وقد نبتت في ذقنه بؤادر اللحية ، فزادت سحر صباه حسناً . »

ويشير « أفلاطون » الى عبارة « هوميروس » هذه ، في بداية كتابه « بروتاجوراس » ، اذ يقول : « من اين انت آت يا سقراط ؟ . . وابن كنت في غير حاجة للسؤال ، لأننى أعرف أنك كنت تطارد « السبياديس » المليح . لقد رأيته أول أمس ، وقد أوتى لحية . . ولى أن أهمس في أذنك بأنه رجل ، ومع ذلك فقد خيل الى أنه لا يزال جد فاتن ! »

« سقراط : وما بال لحيته ؟ . . ألسنت من رأى هوميروس ، الذى يقول أن « الصبا يغدو أعظم فتنة ، عندما تبدو بؤادر اللحية » ؟ . . وهذا هو مبعث سحر السبياديس الآن ! »

ويقول ستراتون : « لكم يطربنى ازدهار الصبا في ابن الثانية عشرة ، ولكن ابن الثالثة عشرة مرغوب أكثر منه . ويظل ابن الرابعة عشرة نبعاً دافقاً لأنواع الحب ، وان كان ابن الخامسة عشرة أكثر سحراً . أما ابن السادسة عشرة ، فهو مشتهى الأرباب ، ولست أرغب في ابن السابعة عشرة ، وان كان هو هوى الرب « زيوس » وحده . أما اذا بق المرء الى من هو فوق هذه السن ، فان الحب هنا لن يكون مجرد عبث ، بل هو يتطلب استجابة ، واخذ وعطاء . » !

حب الفتيان مظهر لامتياز الرجل على المرأة

● ولا بد من أن نضع نصب أعيننا — في هذا الجزء من البحث — ان الثقافة الاغريقية القديمة كانت تقوم أصلاً على الذكر . أما الأنثى فكانت كل مهنتها انجاب الأطفال وتدريب البيت . وبالتالي ، كان الرجل هو مركز الحياة الفكرية . لهذا كانت العناية الأولى موجهة الى تربية الولد وتعليمه .

« كانت من أغرب عاداتهم أن يجتذب الرجل إليه قلاماً أو فتى يرافقه في حيساته اليومية ، ويكون له ناصحاً ، وموجهاً ، وراعياً ، وصديقاً يدفعه إلى فضائل الرجال . . وقد بلغ من تأسل هذه العادة في نفوسهم ، أن انصراف أى رجل عن رعاية ولد كان يعتبر انتهاكاً للواجب ، وأن انصراف أى ولد عن شرف صداقة رجل كان يعتبر عاراً !

وكانت رعاية الرجل للولد تنبج إلى فهم عقله ونفسه ، وإلى تربيته جسمياً وعقلياً وروحياً على أكمل وجه . . وكان الكمال في الذكر يتمثل في أن يكون « طيباً وجميلاً » وأن يكون جماله شاملاً للجسد والعقل والنفس . . وكان الاهتمام بجماله الجسمي يجعل الاغريقي يقضى ثلاثة أرباع نهاره في الألعاب الرياضية ، يمارس التمرين عارياً . .

ويحفل التراث الأدبي الاغريقي بالأخاديت عن المتعة الجمالية التي كانت عين الاغريقي تستمتع بها بتأمل جمال الفتيان . . وكان الشعراء يتغنون بهذا الجمال ويمجدونه ، كما أن الفنانين كانوا يرون في جمال الذكور تجسيدا لكل جمال دنيوى على سطح الأرض . . وكانت أسماء أبرع الفتيان جمالا تكتب على بعض التحف الفنية — كأوعيه الزهور — من قبيل الزخرفة والتمجيد معا .

وكانت العيانان أبرز معالم الجمال في الذكور ، لدى قدماء الاغريق ، وكم تغنى الشعراء بسحرهما وقتنتهما . . وتليهما الوجنتان ، اللتان قال الشاعر « قرينيكوس » في وصفهما : « يشسع على وجنتيه وهج الحب » ، وقال سوفوكليس : « ان ايروس يسهر على صون الخسود الناعمة » . . ويأتى شعر الفتى في المرقبة التالية . وروى عن « بوليكريتس » — حاكم (ساموس) — أنه لم يكن يمل النظر إلى جدائل شاعر « سميرديس » الفتى الجميل الذى

اضططاه لنفسه .. ولكنه في توبة من الغضب والغيرة ، امر
بقصر الشعر الجميل ، حين رأى الفتى يغتر به !

بغاء الذكور لا يقل رواجاً عن بغاء الاناث

« والرأى القديم في الحب ، هو انه « النزوع لكل ما هو
جميل » .. واذا كنا قد أبرزنا هذا على ما سواه - حتى
الآن - فليس معناه أن حب الاغريق للذكور كان منزهاً عن
كل ميل حسي أو نزعة جنسية . بل ان منهم من كان يرى
في العلاقة الجنسية تنمية للحب وزيادة في اثره العاطفة .
كما ان الايناس والمندمة يدخلان في العلاقة بين ذكر وذكور .
ومن ثم فان حب الاغريق للفلمان والفتيان يسود للرجل
الحديث اشبه بلغز غير واضح .. ولكن الواضح أن انعكاس
هذا الحب على الأدب الاغريقى ، جعله من دعائم ثقافة
القوم ، ومن الوجوه التى تبدى بها حضارتهم .

وفي كل الأزمان والأقوام ، نجد أن من الحب ما يمكن
شراؤه بالمال . ومن ثم فان حب الاغريق للذكور لم يشذ عن
هذه القاعدة ، حتى لقد شهدت الحضارة الاغريقية « بغاء »
بين الذكور ، لم يكن أقل شأنًا من دعاية النساء . وكان بغاء
الذكور متفشياً في (أثينا) ، حتى أن ((سولون)) - الفيلسوف
والشاعر والسياسى الكبير - حرم اللواط على الصيد ، لأن
في ممارستها مظهراً من أبرز مظاهر ((حرية الإرادة)) ..
وضمن تشريعه - في الوقت ذاته - عقاباً لمن يتخذون من
جمالهم تجارة وحرفة .. بل انه اعتبر أن ((من يبيع جسده
لقاء مال ، يفرط بنفسه الاستهتار في مصالح الدولة)) !

وبوجه عام ، فان عشق الذكور كان مباحاً في أغلب
الأوقات - عند الاغريق - إذا قام على « الميل المتبادل » بين
ذكرين .. ولكنهم كانوا يستنكرونه اذا قام على أساس البيع

الشراء .. ومع ذلك ، فكم حفلت القصائد - التي خلفها
عمره قدامى - بالشكوى من جشع « صبيانهم » ، ومن
مهم إلى المال .

ومن ناحية أخرى ، لم يكن مما يعاب أن يتهافت الغلمان
الفتيان على الرجال الذين يبرزون بين أقرانهم ، كأبطال
الرياضة ، والشعراء ، وذوى المال والملاحة ..

غلمان يؤجرون للرجال بموجب عقود !

● وكذلك لم يحل استنكار الحب القائم على المال ،
دون أن يكون هناك غلمان يباهون ، أو يؤجرون - بعقود
أيجار تتفاوت آجالها - لمن يهون جمال الذكور من الرجال
.. كما كانت في (أثينا) وبعض المدن الساحلية ، دور للبغاء
يعمرها الذكور ، كدور العاهرات تماما . على أن أكثر سكان
هذه الدور كانوا من أسرى الحرب .. ومن أبرز هؤلاء
« فيدو » الذى وقع أسيرا في أيدي أهل (أسبارطه) في
حربهم مع أهل (إيليس) ، فباعوه للأثينيين الذين أودعوه
دارا للدعارة ، حتى أغرى سقراط أحد أتباعه بأن يشتريه !

وبرغم كل هذه الحقائق ، فإن الناحية الجمالية كانت
أكثر غلبة على الناحية الحسية ، في عشق الذكور لدى
الأغريق .. وكان الأساس في علاقة الرجل بصبي أو فتى ،
هو تربية هذا الصغير ليحوز الفصائل التي يجب أن تتوفر
في الرجل .. وكان العاشق مسئولا عن فتاه ، حتى أن بعض
المدن الأفريقية كانت تعاقب العاشق ، إذا صرخ فتاه أثناء
القتال مع أى عدو !

ونستخلص من كل ما قيل في هذا الموضوع ، أن حب
الغلمان كان شائعا عند الأغريق ، وكان أصلا يقوم على أسس
دينية وجمالية . وكانت غايته هى الوصول إلى المقدرة على

ناخراز الفضائل الشخصية والاجتماعية : ولم يكن عشق
العلمان يتعارض مع الزواج ، بل كان مكملًا له ، كما مل مهم
في التربية والتعليم . . وكان القوم يعتقدون أنه أبقي أنواع
الحب ، وأنه يدوم حتى بعد الموت . . وكان - في كثير من
الأحيان - يذو من العلاقة الجنسية ، ويتخذ شكل الصداقة
الأثيره ، وان كان عشق العلمان - بمعناه الجنسي - يضادفنا
في الحضارة الأفريقية منذ أقدم عهودها .

ختام البحث

الجزء الثاني (بقية ص ٧٦)

استطاعت - قال حسن يبشر المهاجرين بأنهم خليقون بأن
يلغوا (بين دا) ، دون ما خسارة !
ولكن القنابل عادت تستأنف انهمارها فجأة ، وقد ازدادت
قربا . . وقبل أن يجد أحد فرصة للانبطاح على الأرض ،
انفجرت قنبلة كبيرة وسط الجموع المتراخمة أمام الجسر . .
وفي غمرة الاضطراب الجنوني ، أخذ الكثيرون يلغون بأنفسهم
في مجرى الماء . . بينما تدافعت أعداد كبيرة الى الجسر . .
والتفتت السيدة - وقد بلغت منتصف الجسر - خلفها ،
وقد شل النعر حراكها . . وتشبثت مستميتة بسيلاج الجسر
الذي راح يتأرجح في عنف تحت تدافع القادمين . . وفجأة ،
مالت إحدى السلتين بانحراف شديد ، فاختل توازن العصا
على كتف السيدة ، وسقطت مع السلتين الى الماء . .
وضاع صراخ الأم في غمرة صخب الناس ، ودوى القنابل !

هل يعود؟

قصة إنسانية
للكاتب البلغاري الكبير
إيخان فتازوف



ترجمة : جورج عزيز

صورة من جهاد الشعب البلغاري

هذه القصة تنقل لنا صفحة من صفحات حرب من الحروب العديدة التي اضطرت (بلغاريا) إلى خوضها ، بعد استقلالها ، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .. صفحة مجيدة من صفحات الجهاد القومي ، ولكنها - في الوقت ذاته - مأساة إنسانية حافلة بالشاعر والانفعالات المثيرة ..

والقصة من أدوع ما كتب « ايفان فازوف » ، الذي يعده البلغاريون « شيخ الأدب البلغاري » ، والذي أطلق عليه كاتب روسيا الخالد « مكسيم جوركي » لقب : « شاعر البعث البلغاري المناهض » ، إذ عكست أعماله عقلية ونضال دعاة التحرر الوطني والثوار ، وقد نظم عددا كبيرا من القصائد ، ضممتها دواوين : « الراية والريابة » ، و « مصائب بلغاريا » ، و « الخلاص » ، و « ملحمة المنسيين » ، و « امرأة من زاجورا » .. كما كتب كثيرا من القصص والروايات ، أشهرها : « جوابو الآفاق » ، و « رجال التربة » ، و « الثوار » ، و « تحت النير » .. وهذه الرواية الأخيرة أذاعت صيته في أرجاء العالم .. وقد ترجم كثير من انتباهه إلى لغات عديدة ، كما تعد قصائده وأغانيه من تراث بلغاريا الثقافي .

وفي سبيل أداء رسالته القومية ، خاض « فازوف » أغلب ميادين الأدب ، فهو رائد القصة البلغارية القصيرة ، ورائد الرواية التاريخية ، وأول شعراء الوطنية .

● ياله من ضباب .. ضباب كثيف خيم على قرية (فيترين) في ذلك الخريف . كان الجو رطباً ندياً ، بعد أن تساقط مطر خفيف ، وبدت السماء كأنها ذابت واستحالَت إلى بخار بارد ، اشتدت وطأته على البيوت المنخفضة في القرية .. بيد أن كل شيء كان قائماً على قدم وساق في الشارع

الموحد : طنين اصوات عالية ، وتيار مستمر من جماهير المارة ،
وعربات ركوب تجرها جياد قصيرة حزينة ، وعربات تقل
محملة بالدخيرة تجرها الثيران ، ومواش تسد الشوارع بين
الفندقين الصغيرين ، اللذين هما اقرب الى النوع الذى يطلق
عليه « الخان » .

وفي وسط هذا الخليط ، شقت وحدة من المجندين
طريقها . . كان عدد قليل من افرادها يرتدى معاطف الجنود ،
واخرون يتدثرون بمعاطف من جلد الغنم المقلوب ظهراً لبطن
ليكون الفراء الى الخارج . اما اكثرهم كانوا ملتحفين ببطاطين
رثة بالية صنعوا منها ما يشبه « الحرامل » ، ونعالهم مبتلة ،
وكلهم مشقلون بأحزمة الرصاص . . بينما كانت نادقهم —
التي تزينها غصون شجر (البقس) — تطل من فوق مناكبهم
. . وكانت اجسامهم توشك أن تتجمد ، بينما اقدامهم تغوص
في الطين حتى الركبة ، والعاصفة تقلف وجوههم بحبات
البرد المتساقطة . لكنهم — رغم ذلك كله — كانوا يغنون . .
وكانت اغانيهم تعبر عما في صدورهم من مشاعر وآمال !

● ● ●
● وعند باب احد الفندقين وقفت جماعة من الضباط
والمسافرين ، ومن حولهم بعض القرويين يتفرسون — في
دهشة وفضول — في وجوه اولئك الذين بلل المطر ثيابهم . .
وامام الفندق او « الخان » الآخر ، وقفت جماعات متفرقة من
السيدات والفتيات والصبية : كانوا جميعا متدثرين بالحرامل
يرتجفون ، وقد احمرت وجوههم من قسوة البرد . . وقد
احتشدوا في هذا المكان ليستأجروا ويودعوا الجنود البهينين
المخضرمين الذين كانوا يمرون ، ضمن الفصيلة السادسة من
(هرمانلى) ، حيث كانوا قد ذهبوا لحاربة الأتراك . وكان
عليهم أن يتجهوا بسرعة الى (صوفيسا) ، ومن هناك الى
ميدان القتال لحاربة الصرب .

.. وسمعت صيحات بين جماعات الواقفين :
 - ها هو ذا ابن « جورجى » .. نتمنى لك حظا سعيدا
 يا « تشغيتكو » .

- أوه ! .. انظروا هناك .. انه « رانجيل » !
 - أوه ! .. وهذا هو ابن « نيديلكا » أيضا ! .. انظر
 يا « ايفان » ، ان أمك هنا .

وقى لهفة وسرعة قدمت باقات الزهور ، بينما كانت
 الدموع تبلل الخدود والألفاظ تنبث من الأفواه غير مكتملة
 .. وظل الجنود في سيرهم ماضين .

وصاحت فتاة صغيرة شقراء متوردة الخدين ، تضع
 وشاحا زاهى الألوان : « أمه .. هو ذا أخى ! » .. وهتف
 أخوها الصغير الذى يناهز الثامنة ، وهو واقف الى جوارها
 ماذا ذراعيه الى أحد الجنود : « أخى سنويان ! » .. وصاحت
 أمه بالجندى ، من خلال دموعها : « ابنى .. !! ابنى !! »

وعندئذ خرج من الصف شاب قوى أنيق ، ذو عيني
 سوداوين ، فقبل يد أمه ، وطبع قبلة على جبين كل من أخته
 وأخيه .. ثم ثبت وردة صغيرة فى عروة سترته ، ووضع
 خلف أذنه وردة أخرى قدمتها اليه فتاة صغيرة ، وأخيرا
 أسرع الخطى ليلحق بالجنود ويشاركهم ترديد الأناشيد
 من جنيد ..

وقالت له أمه : « ليحالفك الحظ السعيد يا بنى ! » .
 وصاحت الفتاة بصوتها الخافت : « سنويان ! » .. بيد أن
 صوتيهما غرقا فى الجلبة والضوضاء .. واختفى « سنويان »
 أو كاد بين الجنود ، وما لبث الجنود كلهم أن اختفوا وراء
 الضباب !

وظلت الأم تحلق فيهم بعينين لا تريان شيئا ! .. بينما
 احاطت الفتاة رأسها ووجهها بالوشاح الزاهى الألوان ..
 وعندما دخلت الأم بيتها انفجرت بآية ، ثم فتحت خزانة

ثياب قديمة وأخرجت منها بعض الثياب الداخلية ، وجاءت بشمعة وثبتتها امام الأيقونة المقدسة وأشعلتها . . ثم راحبت تصلى بحرارة وهي مطرقة طول الوقت في خشوع .
 . . في ذلك الوقت كانت المدافع تقصف بالقرب من (دراجومان) . . وكان ذلك في الرابع من نوفمبر سنة ١٨٨٥ .

— ٢ —

● وفي تلك الليلة ذاتها ، رأت الأم « تسينا » — في منامها — حلما مفرعا ! . . رأت سحابة ضخمة ، يتوغل الجنود فيها ، و « سنويان » بينهم . . أوه يا سيدتي العذراء الطاهرة ! . . ما أبشعه من منظر ! السحابة تقعقع وتدمدم ، والانفجارات تهلل السماء ، والأرض تهتز وترتج . . اذن لقد استمرت المعركة ! . . رباه ! . . لقد ضاع « سنويان » وسط السحابة ، ولم يعد له وجود !

وحينما استيقظت الأم « تسينا » ، كانت الظلمة حالكة مطبقة ، ولم يكن يسمع في الخارج سوى هويل الريح . . فهتفت : « انها المعركة . . ايها السيد المسيح اشمله بحمايتك ! . . سيدتي العذراء الطاهرة ، ارحني سنويان . . ! » ولم تعاود النوم الا مع بزوغ الفجر . .

وفي صباح اليوم التالي ، سألت العم بيتر : « ما معنى السحابة في الحلم ؟ »

— السحب ! . . هناك نوعان : سحب تتحول الى امطار ، وسحب تلدوب . ما نوع السحابة التي حلمت بها ؟

. . وروت له قصة الحلم . ولذا العم بيتر بالصمت هنيهة ليفكر . . لم يتذكر أنه قرا في الكتاب الذي عنده عن الأحلام إشارة الى سحابة من هذا النوع ! . . واذا رأى امارات الجذع مرتسمة على وجه الأم — وهي تتطلع اليه ملهوفة شبه لاهثة — قال لها في اشفاق : « لا تنزعجى يا « تسينا » . . انه حلم

طيب . ان السحابة معناها انباء طيبة ايضا . . سيصل اليك خطاب من سنويان « . . وعندئذ اشرق وجه العجوز !
وبعد ستة ايام تلقت خطابا حمله اليها أحد أصدقاء
ستويان ، من المتطوعين المنوط بهم حراسة الاسرى . .
انشرح قلب « تسينا » الحزين بهذا الخطاب وامتلا
بالفرحة ، فانطلقت تجري بأقصى سرعة تسمح بها عظامها
الهرمة ، الى ستويانكا ، خطيبة ابنها . . وغمرتهم البهجة
جميعا ، بيد أن « رادولشو » كان أشدهم ابتهاجا حينما علم
أن أخاه سيشرح له كيف تصفر القنبلة اليدوية !



● وما أن خرج الام « تسينا » الى الشارع ، حتى رأت جماعة من
الاسرى ، وخلفهم جندي بلغاري خيل اليها انه « ستويان » نفسه ، إذ كان
يشبهه الى حد كبير . لكنه لم يكن هو . . بيد أن الاسرى - الذين وقع عليهم
بصرها لأول مرة - شغلوا انتباهها ، فأخذت تحدث نفسها هاسسة :
« يا الهى !.. اهكذا يبدو الصربيون ! ؟ .. انهم يبدوون اناسا طيبين ، ولكم
اشفق على امهاتهم !.. ترى هل يعرفن أين هم الآن ؟ .. ثم رفعت صوتها
تناديهن : « ايها الشبان .. انتظروا قليلا ! »

واسرعت الى بيتها ، ولم تلبث أن عادت حاملة زجاجة « راكيا » (١) ،
واهابت بالجنود الصربيين أن يقفوا لتقدم لهم شيئا منها . ولم يسع الجندي
البلغاري - المرافق لهم - إلا أن يتسم ابتسامة عبرت عن طيبة قلبه . .
وأوقفهم عن السير .

وصاح الاسرى المرهقون ، بعد أن اشاعت « الراكيا » اللذبة في
أجسامهم ، معربين للام « تسينا » عن اعترافهم بجميلها : « شكرا لك . .
شكرا لك » . . كما صاح الجندي البلغاري في انشراح : « لقد بقيت لي
ايضا جرعة . . في صحتك ايتها الجدة ! »

وتسألت الام « تسينا » ، بعد أن مضى الرجال في طريقهم : « انهم
جميعا مسيحيون مؤمنون بالله . . فماذا دفعهم الى القتال ؟ »

(١) شراب مصنوع من عصير التبرقوق .

— ٣ —

● وتم توقيع الهدنة ..

ودنا عيد الميلاد ، وبدأ الجنود يعودون لقضاء عطلة العيد مع ذويهم . وعاد الى قريتنا (فيترين) نفسها عدد من الجنود ، ولكن « ستويان » لم يكن بينهم .. واستبد القلق والانزعاج بالأم « تسينا » ، وامتلا ذهنها بأفكار بشعة . وأخذت الأيام تتعاقب ، والأم لا تكاد تحول نظرها عن باب البيت ، ترقب العائدين أثناء مرورهم بدارها .. لقد عاد رانجيل ، وستويتوف ، ثم بيتر — ابن دينكو — والأخوان ستامانوف .. وفي كل مرة كانت تنهض من مكانها وتخرج لتسأل عن ابنها « ستويان » .. ولكن احدا لم يكن يعرف عنه شيئا ! .. لقد شاهدوه في ميدان القتال في وقت من الأوقات ، ولكنه لم يلبث ان اختفى ! .. وكان قلبها يوشك ان يكف عن النبض كلما سألت عنه ، ثم تروح تدرع البيت جيئة وذهابا في قلق .. دون ان ينقطع تفكيرها في ستويان ! وأخيرا .. دخلت ابنتها « كينا » مهرولة لاهثة ، وهي تصيح : « أماء ، لقد عاد العم ديمتر ! » .. فانتصبت واقفة ، وأسرعت ملهوفة نحو ديمتر قائلة : « مرحبا بك يا ديمتر .. ابن تركتم ستويان ؟ »

ولم يكن ديمتر يعرف عنه شيئا هو الآخر ، ولكنه قال مشفقا على الأم : « من الجائز ان يكونوا قد أرسلوه صوب (فيدين) .. ثم غمغم الجندي في اضطراب : « وربما يكون عائدا من طريق آخر » !

.. فتتهدت قائلة : « يا الهي .. اين يمكن ان يكون ولدي ؟ » ..

وعاودت الخروج لتلتقي بمحبة ابنها « ستويانكا » . ولكنها لم تكد تصل الى الباب ، حتى اشتدت دقات قلبها

مرة أخرى ، تحت تدافع الأمانى .. كانت تأمل أن تذكر لها « ستويانكا » أنها تلقت رسالة من « ستويان » ، وأنه قادم للاشتراك معهم فى الاحتفال بعيد الميلاد ! .. كانت تتمنى أن تنبس « ستويانكا » بكلمة .. ولكن الفتاة استقبلتها فى وجوم ، وظلت لائدة بالصمت ، وقد احمرت عيناها !



● كانت القرية كلها تعج بالحركة كالخلية ، اذ كان أهلها يحتفلون بعودة الكتيبة الأولى ، وقد ثبتوا فى وسط الشارع — أمام بيت الأم « تسينا » — عمودين تعلوهما عصا كبيرة كالقوس ، واحضروا من الجبل غصون أشجار زكية الرائحة ، لفوها حول العمودين والقوس ، ثم ثبتوا فيها ورقة أحضروها خصيلضا من (بازاردجيك) ، بعد أن كتبوا عليها : « مرحباً بكم أيها الجنود الشجعان ! » .. ثم زينوا القوس بأعلام مثلثة الألوان . وهكذا أقاموا قوس النصر !

واخذت القوات المنتصرة تروح وتجىء .. بينما كانت الأم المسكينة تفكر :

« قد يكون قادما بعدهم .. ولعله يتعمد الا يحضر الا عشية عيد الميلاد .. لماذا يحتفل بالعيد فى مكان آخر ؟ هؤلاء هم الجنود ما زالوا يتوافدون ، الواحد تلو الآخر .. ذرافات لا نهاية لها .. أنه سيعود هذا المساء ، فهو يعرف أن ثمة كثيرين فى انتظاره ، بقلوب تفيض هلما وشوقا ! »

وفى الصباح التالى ، بكرت الأم فى الذهاب الى الكنيسة . و « فكت » عملة « الليفا » (١) — التى كان « ستويان » قد أرسلها اليها — واشترت شمعات أشعلتها بعد أن وضعتها أمام كل الأيقونات المقدسة فى الكنيسة .. ثم عادت الى بيتها

(١) اسم العملة البلغارية

مشرقة الوجه ، وهمست لنفسها قائلة : « سيعود اليوم على
اى حال . . ان غدا عيد الميلاد . . اليس هذا هو الموعد
الاقصى . . آه يا سيدتى العذراء الطاهرة ، أعيديه لى ،
يا ملاكى . . يا يسوع ، املا قلبى فرحا ! »

وجاءت ابنتها « كينا » مهرولة لتقول : ان مزيدا من
الجنود قد عادوا للقريه . . فارتسمت امارات العبوس على
جبين الأم « تسينا » ، وغمغمت فى غضب : « انك تعيثينى
بالتسائعات منذ مدة طويلة . . الا اذهبنى للترحيب بأخييك
كما يفعل الآخرون ! »

وساح الأخ الأصغر رادولشو : « أريد ان اذهب انا أيضا
مع اختى ! »

. . وهرع الصبيان الى الشارع الذى يكسوه الجليد ،
ثم انطلقا الى الخلاء على طول الطريق الزراعى . . بينما وقفت
الأم « تسينا » خارج الباب ، متأهبة لاستقبال ابنها . .



● وهبت الرياح باردة من الجبال . . وكانت القمم ،
والوديان ، والسهول تبدو كلها بيضاء . . أما السماء فكانت
فى سورة غضب . وفوق الطريق كانت جماعات من الغربان
السوداء تحلق ، أو تقف على الأشجار ذات التيجان غير
المرسعة ، وهنا وهناك ، على طول الطريق الزراعى الصاعد
الى ممر (اهتيما) ، كانت جماعات الناس الذين قدموا
للترحيب بالجنود ، تبدو كالبقع السوداء على الجليد . .
وكانت هناك فتيات ، وأطفال ، وسيدات مسنات . . وأخذ
الجنود يصلون أفرادا وجماعات .

ومرت « كينا » ، ومعها أخوها « رادولشو » ، أمام
الجماعة الأولى ، ثم الثانية ، والثالثة ، ومضيا فى السرى . .
كانا يتلهفان على ان يكونا أول من يلتقى بـ « ستويان » ويرحب

به . اتهدما ، ولا شك ، سيتعرفان عليه رغم أن البرد اللتى
بدا يتساقط اخذ يحد من مجال رؤيتهما !

وكان الطريق يزداد صعودا حتى يختفى عند قمة التل .
ولذلك صعدت « كينا » ، ومعها « رادولشو » ، الى القمة . .
وهناك كانت الريح اقوى ، واشد عنفا . وبدأ جنديان عند
المنحنى ، وقد غطاهما البرد المتساقط ، ولكن « ستويان »
لم يكن واحدا منهما .

وسألتهما كينا : « أيها الجنديان . . هل هناك جنود
آخرون قادمون ؟ »

فأجابا فى اقتضاب : « لا نعرف أيتها الصبية . . لكن
من تنتظرين ؟ »

وصاح رادولشو : « اننا ننتظر أخانا » .

ومضى الجنديان المرهقان فى طريقهما . .

وامتد بصر « كينا » وأخيها الصغير الى الطريق مرة
أخرى . . كانا يشعران بشدة البرد ، وأخذت أطرافهما
ترتجف ، بل ان أسنان « رادولشو » أخذت تصطك . . ولكن
أخاهما قادم ، وعليهما أن ينتظراه ، والا نهزتهما أمهما وتعالى
صراخها ان لم يعد معهما الى البيت !

وظهرت عربة بها شخصان ، تدثر كل منهما بقلنسوة
و « حرملة » من جلد الغنم . وحين وصلت العربة الى حيث
كانا يقفان ، اعترضت « كينا » طريق الجواد ، وسألت
الراكبين : « أهناك جنود آخرون قادمون فى الطريق ؟ »

فأجاب أحدهما ، بعد أن رفع القلنسوة قليلا ، ونظر فى
دهشة الى الفتاة التى كان لون بشرتها خليطا من الحمرة
والزرقة ، بسببه البرد القارس : « لسنا نعرف يا بنيتى ! »
. . ثم انطلقت العربة هابطة التل .

وتسمرت أقدام « كينا » وأخيها فى ذلك المكان . ومضت
ساعات . . وازدادت ريح الجبل قوة ، وأخذت تصفع

وجهيهما وثوبيهما .. ومن حولهما تتدحرج حبات البرد
تدروها الريح في رقصة جنونية .. ولكنهما لم يحركا ساكنا !
.. واستمرت أعينهما مركزة على المنحنى ، وهما يحدقان
في لهفة ، منتظرين ان يظهر أى كائن حى !



وكانت « كينا » في تلك الأثناء تبكى .. وبدأ « رادوفشيو »
يبكى بدوره ، وقد كانت أيديهما وأقدامهما تتجمد من شدة
البرد ، كما بدت خنودهما زرقاء .. وكان الطريق مهتدا
أمامهما الى القرية ، وقد اقفر تماما ، اذ عاد الذين قدموا
للترحيب بلويهم من الجنود الى بيوتهم ، بعد ان بدأ ظلام
الليل يزحف حالكا . وزاد اشتداد الريح وقسوة البرد ، الى
حد لم يعهده الشقيقان في أى وقت مضى .. وبدأ الفرسان
المبتعدون كاشباح سوداء وسط الجليد الأبيض .. وحملت
الريح أغاني الجنود المرحلة الى آذان الفتاة والصبي اللذين
شرعا يسيران نحو القرية .

.. وادخى الليل سدوله ، وهما يفدان السير ، منتخبين في خفوت ..
كانا يفكران في أمهما التي تنتظرهما عند الباب !.. وفجأة جلجلت من
خلفهما عربة أخرى .. قادمة من فوق التل .. تجرها ثلاثة جياد ، فصاحا
بمن فيهما :

« هل هنالك جنود آخرون قادمون في الطريق ؟ »

.. لكن العربة برقت أمامهما واختفت في الظلام !

وكانت العاصفة الثلجية تعوى حولهما بعنف ، وبدأ كان عنفها وترنحها
يوحيان الى « كينا » وأخيها بالجواب .. كانت قادمة من « الغرب » ،
من ميدان القتال ، حيث كان الجليد الذى يتغلل مزارع العنب ، يترامى
فوق .. قبر « ستويان » !



محتويات الكتاب

الموضوع	صفحة
الذهب المقدس : قصة بقلم : ابراهيم المصري	٤٩٥
القربان : للكاتبة الهندية : نرجس دلال	١٩
الابن والام : للقصى الياباني : جواران هيزاو	
ترجمة : حمادة ابراهيم	٣٥
ينبوع الشياطين : للقصى الأمريكي : ناثانييل هوثورن	
ترجمة : رفسيس فرعون المحامى	٥١
الجسر المعلق : للكاتب الفيتنامي : توى آن هوانج دان	٦٧
خطة محكمة ، ولكن ...؟! : للقصى البلجيكي : فيردان	٨٣
محاولة انتحار ...! : للقصى الانجليزى : مايكل	
هاستينجر - ترجمة : محمد بدر الدين خليل	٩٣
شرح في عقل ((دون لولو)) : للقصى الايطالى الشهير :	
لويجى بيرانداللو	١٠٥
الجنس عند الاغريق : للباحث المدقق : هانز ليشت ...	١٢١
هل يعود ؟ : للاديب البلغارى الكبير : ايقان قازوف	
ترجمة : جورج عزيز	١٥١

مجلة الصغار للأولاد والبنات

شاب ينتصر على امبراطور ! - هل تعلم ؟ - شخصيات
تغلبت على العجز - الحساب مادة مسلية لذينة !
شخصيات خالدة : مدام كورى - اخطاء شائعة ... الخ

<p>إحصائيون في الطبوعات المسجلة</p>	<p>تصدرت الشعب مؤسسة صحفية عربية</p>	<p>كتاب</p>
<p>١٩٩١</p>	<p>مكتبة دار الشعب - ت ٣١٨١ • مكتبة دار الشعب - ت ١٩٩١</p>	<p>التوزيع : مكتبة دار الشعب</p>

خطوط الجو العالمية TWA

لن نمنعك من أن تصل طرقت

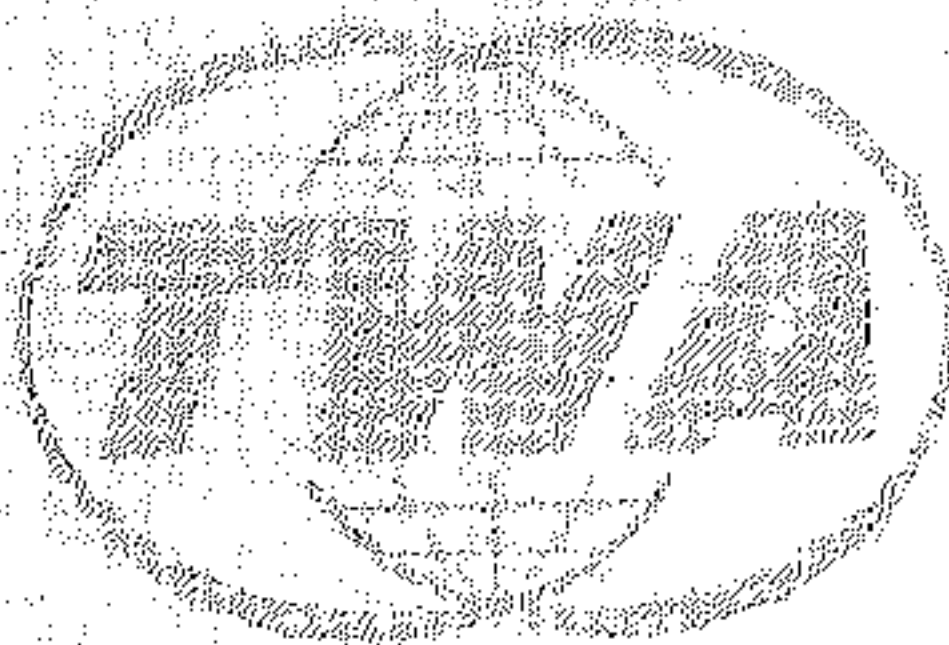
للوصول إلى أمريكا

يبدفع المهاجر
١٠٪ مصدماً
والباقي يقسط
على ٢٤ شهراً
رحلتان أسبوعياً

تليفون:

القاهرة: ٥٩٧٦٠

الاسكندرية: ٢٦٣٢٨



TRANS WORLD AIRLINES

النشيد